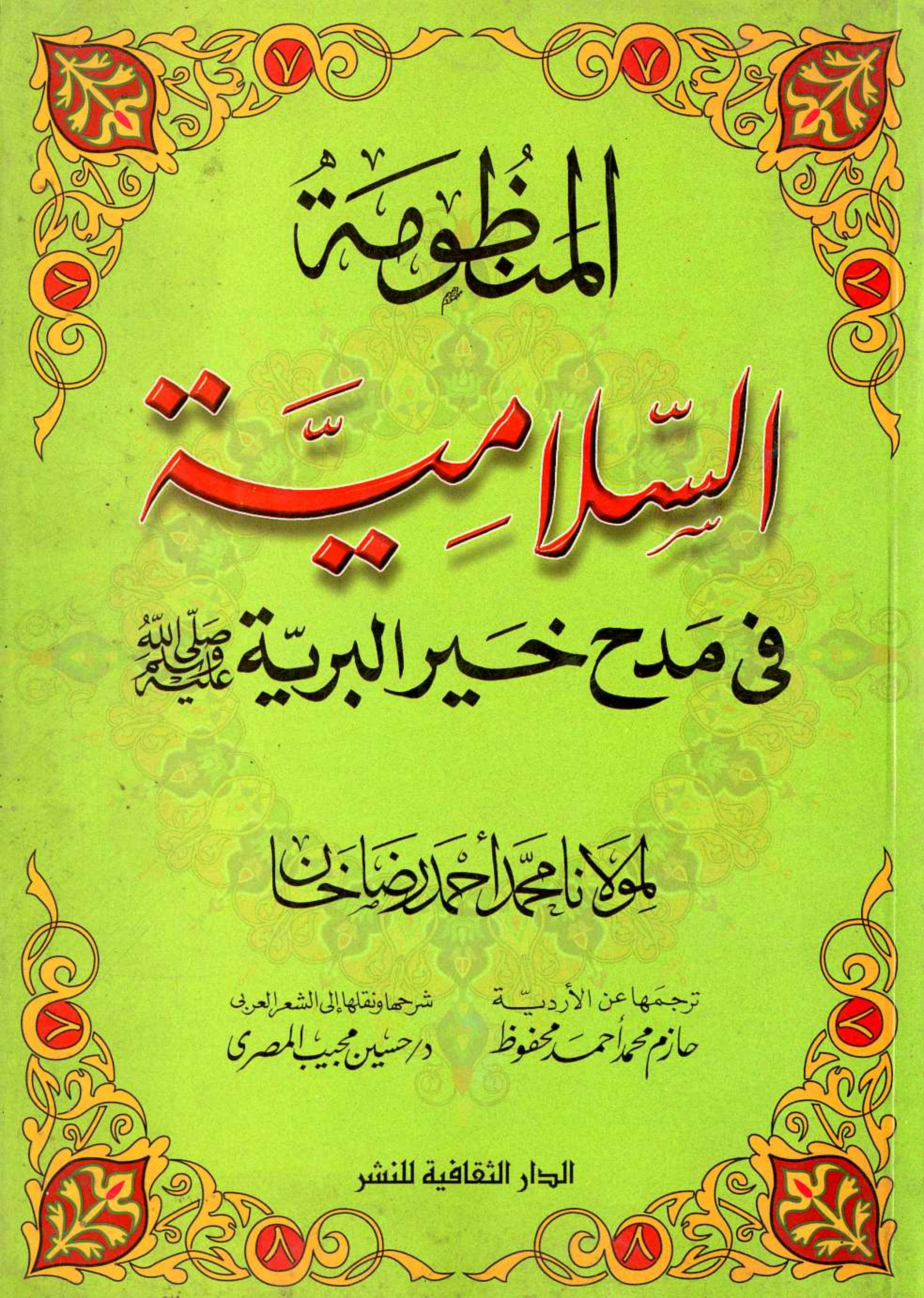

المنظومة
السلامية
في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم
لمولانا محمد أحمد رضا خان
ترجمها عن الأردية
حازم محمد أحمد محفوظ
شرحها ونقلها إلى الشعر العربي
د/حسين مجيب المصري
الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب: المنظومة السَّلَامية فى مدح خير البرية ﷺ

اسم المؤلف: أحمد رضا خان

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٥٨٨٣ /٩٩

الترقيم الدولى: ISBN 997 - 5875 - 80 - 3

اسم الناشر: الدار الثقافية للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص. ب ١٣٤ بانوراما أكتوبر - هاتف وفاكس ٤٠٢٧١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب/ آية ٥٦]

صدق الله العظيم

إهــداء

إلى من بلغ الغـاية فى تقــواه،

فـهـام كل الـهـيـام بمصطفـاه،

الذى مستقيم الصراط هداه،

فطاب نفسا بأن يُنطق اللسان،

بمـا يـخـــــــفق به الجنـان.

شكر واجب

أتقدم بالشكر صادقا موفورا إلى ولدى البار الأستاذ/ حازم محـمد مـحفوظ، الذى كـان له الفـضل فى تعريفى بمولانا أحـمـد رضـا خـان ومنظومـتـه، وأعـارنى المراجع الأردية والعربية. وتعاون معى فى الأخذ منها، ولولاه ما كان لى أن أعرف ما عرفت، ولا أكتب ما كتبت، فله عظيم أجر بصير أخـذ بيد ضـرير. وأدعـو الله له بـحسن المثوبة على صدقة العلم.

د. حسين مجيب المصرى

تقدمة

من المعلوم على وجه اليقين أن بت الصلة بين الكتاب وصاحبه ضرب من المحال، ذلك أن الكتاب لابد أن يحمل صورة واضحة أو باهتة لملامح شخصية من أخرجه، ويشير من بعيد أو قريب إلى سيرته. هذا مشاهد فى عموم على النطاق الواسع، بيد أن هذا العموم قد يضيق ويضيق، خاصة إذا كان المبدع شاعرا ولزيادة فى الإيضاح نقول إن شعر الشاعر لابد أن يكون له مرآة مجلوة لنفسيته وشخصيته وبالتالى لسيرته. حينئذ إذا ما توفرنا على دراسة شاعر لزم أن نطرق كل باب ندخل منه على سيرته. وبمثل هذا الصنيع نكون قد رددنا المسبب إلى السبب، وربطنا النتيجة بالمقدمة وأخذنا بالمنهج الأقوم فى الدراسة التى أخلينا لها ذرعنا وكرسنا جهدنا.

تلك حقيقة تبدو فى تمام الوضوح إذا قلبنا النظر فى المنظومة السلامية لصاحبها الإمام محمد أحمد رضا خان، وهو علم من الأعلام الذين لا يجود الزمان بأمثالهم إلا فى الندرة ذلك أنه شاعر رفيع الطبقة وكتيب وخطيب وداعية إسلامية رفيع القدر لا يقل فى شأنه عن محمد إقبال إضافة إلى أنه فقيه إمام له من التآليف والتصانيف كثير وكثير.

إنه محمد أحمد رضا خان ابن العارف بالله محمد تقى على خان القادرى ابن العارف بالله محمد رضا على خان النقشبندى، ولأسرته واسع الشهرة بالعلم والفضل بين أهل شبه القارة؛ على تفاوتهم فى حظهم من علمهم، وثقافتهم.

لقد ارتحلت أسرته عن ضواحى مدينة قندهار ببلاد الأفغان، وطاب لها المقام فى مدينة بريلى فى شبه القارة، وذلك على عهد دولة المغول [1]. حكوا قالوا إن أسلافه تولوا رفيع المناصب فى تلك الدولة، وذلك لما كانوا عيه من علم غزير رفعهم مقاما عليا [2]. كما ذكر أن أجداده كانوا أعلاما منهم الوزراء والمؤلفون والأئمة والدعاة والمجاهدون فى سبيل الله، إلى كونهم فى مال واسع [3].

ولنا أن نبسط القول بعض البسط فى أفراد أسرته وما ذاك إلا أن حياة الأسرة لا شك لها أثرها فى أبنائها.

كان جده الإمام محمد رضا على خان، المتوفى عام ١٨٦٦، والذى تلقى العلم أسوة

(١) محمد ظفر الدين بهارى، حيات أعلى حضرت، ج١، ص٢ كراتشى).

(٢) شجاعة على القادرى، من هو أحمد رضا البريلوى الهندى، ص١٦ (لاهور).

(٣) محمد ظفر الدين بهارى، المرجع السابق.

بأبناء زمانه على والده فحصل العلوم العقلية والنقلية وبرز . فيها ولما يتجاوز الثالثة والعشرين [٤] . ومع كونه فى صدر شبابه اتسعت له الشهرة بأنه من شيوخ التصوف الأكابر الذين التف حولهم المريدون يسمعون منهم ويأخذون عنهم، وكانت حياته حياة الزهاد والعبّاد، كما ظهرت له كرامات وكرامات [٥] .

ومحمد أحمد رضا خان معتز بجده هذا مباه بشرف انتسابه إليه وله شعر بالعربية يؤرخ لوفاته فيقول : [٦]

جـــدى كـــان عـــالمـا   لـــم ير مـــثله النّظَر

بهـــجـة جل من مـــضى   حـــجـة كـل مـــن غــبــر

قـــال رأيت أنجـــمـــا   قلـــت نظـرت قـــال ذر

قلت فكيف نهـــتـــدى   قـــال أضـــاءنا القـــمـــر

قلت فـعـــام نقلـــتــه   قـــــال محـجـل

وعبارة (محجل أغر) بحساب الجمل تساوى ١٢٨٢ هـ. وهو العام الذى توفى فيه جده الشيخ رحمه الله.

أما أبوه الإمام محمد نقى على خان، ففى مدينة بريلى كان مولده، وكان من شيوخ المتصوفة، ومن علماء الأحناف الأعاظم وشهرته بالزهد والورع والعلم الغزير، ومع ذلك المال الجزيل الذى ورثه عن أبيه خرج من ماله للفقراء وآثر الزهد والقناعة بأقل القليل [٧] .

وارتحل إلى أرض الحجاز وهناك نال الإجازة فى رواية الحديث الشريف من العالم الشهير السيد أحمد بن زينى دحلان . وهنا ندرك العلاقة الوثقى بينه وبين علماء العرب الذين أكرموا وفادته وقدروه حق قدره وذلك فى عام ١٨٨٠، ولمحمد نقى على خان

---

(٤) محمد مسعود أحمد (دكتور)، حياة مولانا أحمد رضا خان البريلوى، ط١، ص٨٤ (سيالكوت، ١٩٨١م).

(٥) محمد عبد الحكم شرف قادرى، ياد أعلى حضرت بريلوى، ص١٢، ١٣ (لاهور، ١٩٩٤م).

(٦) محمد أحمد رضا خان، بساتين الغفران، جمعه ورتبه وقدم له وأردفه بملحق : حازم محمد أحمد محفوظ، ط١، مجمع بحوث الإمام أحمد رضا، أنشئ (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م بكراتشى، ص١٨٣، ١٨٤.

(٧) حازم محمد أحمد محفوظ، محمد رضا خان والعالم العربى، ط٢، لاهور، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٠.

خمس وعشرون مؤلفا فى الدراسات الإسلامية، وكانت وفاته عام ١٨٨١ . وقبره مزار لأهل التقوى يلتمسون بزيارته البركات [٨] .

ومحمد أحمد رضا خان يردد ذكر أبيه فى شعره العربى مقرونا بالإعجاب به والثناء عليه كأن يقول فى قصيدة له تحت عنوان : رن الحمام على شجون البان [٩] :

وارحم أبى وأباه رحـمـا دائما

واجعل قبورهما رياض جنان

آنسهما اللهم فى جدثيهما

بالحور والغلمان والرضوان

أبدلهما دارا وجارا خيرا

من هؤلاء الدور والجيران

حتى يقول الناظرون إليهما

بتعجب وتباشر وتهان

عبدان مرحومان رب غافر

نزل كريم منزل روحان

وندرك مما ذكر عن جده وأبيه أنه كان شريف النسب عريق الحسب وذلك فى العلم والدين والتقوى مما يستدل منه على أنه لابد ورث عنهما تلك الصفات التى امتاز بها وأثبت بقاطع البرهان على أن للنسب حكما وأن الولد سر أبيه كما هم قائلون .

وبعد أن بلغنا بالكلام منتهاه فى جده وأبيه بما يمهد لتمثله فى علو شأنه بالعلم والدين على الأخص، نلتفت إليه فنقول : إن جده سماه أحمد رضا إلا أنه اشتهر فى الأوساط الدينية والعلمية والأدبية على حد سواء بمحمد أحمد رضا خان، أما تخلصه أى اسمه الذى يطلقه على نفسه فى شعره العربى والفارسى والأردى فهو رضا [١٠] . وهنا نقف وقفة لنزيد الأمر وضوحا فنقول إن شعراء الفارسية والتركية والأردية يعرفون باسم لهم يختارونه لأنفسهم فى شعرهم كأنما هو توقيع باسمهم على شعرهم يستدل منه على أن هذا

---

(٨) حازم محمد أحمد المحفوظ، المرجع السابق، ص٢١.

(٩) بساتين الغفران، ص٨٧.

(١٠) حازم محمد أحمد المحفوظ، محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص٢٣، ٢٤.

الشعر منسوب إليهم، غير أن العرب لم يعرفوا هذا فى شعرهم. ومادام محمد أحمد رضا خان يذكر تخلصه أو لقبه الشعرى فى شعره العربى فلا شك أنه متأثر بما جرى عليه العرف عند شعراء الفارسية، والأردية، والتركية. فكان هذا جديدا على الشعر العربى.

مثال ذلك قوله من قصيدة يرثى بها عالما يسمى عبد الغنى (١١):

رقم الرضا تاريخه متفائلا   عبد الغنى بجنة علياء

ومن تتمة الكلام فى اسمه أنه ينتسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم - فيتسمى بالمحمدى والأحمدى، وكذلك يسمى نفسه السنى والحنفى والقادرى، وكذلك ينسب نفسه إلى بلده، فيقول: البزيلوى، وهذا ما نعهده عند المشاهير من العلماء والأدباء.

ومما ينهض دليلا على اعتزازه بنسبته إل النبى صلى الله عليه وسلم أنه اختار لنفسه كذلك اسم عبد المصطفى، ونراه مباهيا بذلك فى شعره الأردى والعربى، فهو القائل فى شعره الأردى (١٢):

يا رضا مالى أراك خائفا،   لك الأمان فأنت عبد المصطفى

وله عند رجالات الدين والعلم والأدب ألقاب لا تكاد تدخل تحت حصر، منها: الفاضل البريلوى، والحضرة العالية، والمجدد، وشيخ الإسلام والمسلمين، ورئيس المفسرين، وإمام المحدثين، وأفقه العلماء والمتكلمين، والعلامة المحقق، وشيخ مشايخ التصوف، وشاعر المديح النبوى الشريف، وأستاذ أساتذة العربية، وإمام أهل السنة والجماعة فى شبه القارة (١٣).

ولد محمد أحمد رضا خان فى الرابع عشر من شهر يونيو عام ١٨٥٦م بمدينة بريلى، وقد صنع لنفسه تاريخا أخذه من قوله تعالى: " «أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه» (١٤).

تلقى محمد أحمد رضا خان العلم فى صغره وأول أمره على جده وأبيه، فعرف الأصول والفروع، والحقائق، والدقائق، وتردد على مجالس أهل العلم، ليجلس منهم

---

(١١) بساتين الغفران، ص١٤١.

(١٢) محمد أحمد رضا خان، حدائق بخشش، ط١، ص٨٠ (لاهور، ١٩٩٨م).

(١٣) حازم محمد أحمد محفوظ، محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص٢٧.

(١٤) سورة المجادلة، آية رقم ٢٢.

مجلس التلميذ، وملك ناصية الأردية والفارسية والعربية، وكان والده يلقى باله إلى الفارسية والعربية على الأخص، ويرى أن لا غنية لطالب علم عن العلم بهما.

وهو فى هذا من رأيه على الصواب فقد جرت عادة العالم والأديب فى شبه القارة بالاطلاع على ما كتب فى هاتين اللغتين. فالفارسة لغة الشعر والأدب، والعربية فى المقام الأول لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، والشرع الحنيف، ولقد تأتى له أن تكون له البراعة ورسوخ القدم فى الفارسية والعربية فألف فيهما كما نظم الشعر الجيد.

أنشأ أبوه مدرسة لتعليم العربية تسمى «مصباح التهذيب» وكان محمد أحمد رضا خان التلميذ النجيب فيها. وبذلك يكون قد حصل العربية على يد أبيه ومدرسته، وكان ذلك عمدة السبب فى اتساع باعه فى العربية. وقد تجلى ذلك بوضوح فيما أخرج من كتب بالعربية. فعبارتها جيدة وسبكها متين، وله فيها أشعار جياد بين دفتى ديوان بعنوان: بساتين الغفران، وفيها يبدو شاعرا يتقلب شعره الجيد فى عدة فنون، ويتسم بالفصاحة والسلاسة والتجافى عن التكلف.

لقد أتقن العربية أيما إتقان، ولم يكن قد زايل شبه القارة. وبالذكر حقيق أن هذا الشغف بالعربية انتقل منه إلى ولديه حجة الإسلام الإمام حامد رضا خان، والمفتى الأعظم مصطفى رضا خان، اللذين تأسيا بأبيهما وضربا على قالبه. والظن أن أروع ما جرى به قلمه فى النثر العربى مقدمة كتابه العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية، والسلسلة القادرية البركاتية بصورة الصلاة.

جاء فى مقدمة كتابه ذاك (١٥): «الحمد لله هو الفقيه الأكبر، والجامع الكبير لزيادات فيضه المبسوط، الدرر الغرر، به الهداية، ومنه البداية، وإليه النهاية، بحمده الوقاية. ونقاية الدراية، وعين العناية، وحسن الكفاية، والصلاة والسلام على الإمام الأعظم للرسل الكرام، مالكى وشافعى وأحمد الكرام، يقول الحسن بلا توقف، محمد الحسن أبو يوسف، فإنه الأصل المحيط، لكل فضل بسيط، ووجيز ووسيط، البحر الزخار، والدر المختار، وخزائن الأسرار وتنوير الأبصار، ورد المحتار، على منح الغفار، وفتح القدير، وزاد الفقير، وملتقى الأبحر، ومجمع الأنهر، وكنز الدقائق، وتبيين الحقائق، والبحر الرائق، منه يستمد كل نهر فائق، فيه المنية، وبه الغنية، ومراقى الفلاح، وإمداد الفتاح،

---

(١٥) العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية ص٨٣، ٨٤ (لاهور).

وإيضاح الإصلاح، ونور الإيضاح، وكشف المضمرات، وحل المشكلات، والدر المنتقى، وينابيع المبتغى، وتنوير البصائر، وزواهر الجواهر، البدائع النوادر، المنزه وجوبا عن الأشباه والنظائر مغنى للسائلين، ونصاب المساكين، الحاوى القدسى، لكل كمال قدسى وأنسى، الكافى الوافى الشافى، المصفى والمصطفى المستصفى، المجتبى المنتقى الصافى، عدة النوازل، وأنفع الوسائل، لإسعاف السائل، بعيون المسائل، عمدة الأواخر وخلاصة الأوائل، وعلى آله وصحبه، وأهله وحزبه، مصابيح الدجى، ومفاتيح الهدى، لا سيما الشيخين، الصاحبين، الآخذين من الشريعة والحقيقة بكلا الطرفين، والختنين الكريمين، كل منهما نور العين، ومجمع البحرين، وعلى مجتهدى ملته، وأئمة أمته، خصوصا الأركان الأربعة، والأنوار اللامعة، وابنه الأكرم، الغوث الأعظم، ذخيرة الأولياء، وتحفة الفقهاء، وجامع الفصولين، فصول الحقائق والشرع المهذب بكل زين، وعلينا معهم، وبهم ولهم يا أرحم الراحمين، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين».

وبالنظر فى هذا النثر الفنى يستبين لنا أنه يتسم بالسلاسة والكلام فيه ينحدر فى ماء واحد آخذا بعضه برقاب بعض دونما تكلف أو إقحام. إن جمله قصار على غير ما نصادف فى النصوص العربية المنسوبة إلى العرب، وسجعه يأتى عفوا والمعنى فى ظاهر اللفظ يدرك من غير كد للذهن وإعنات للروية. إنه خلو من البديع المتكلف لا إفراط فيه فى الصناعة، تلك الصناعة التى غالبا ما تطمس المعنى وتصرفه عن وجهه وتجعل الكلام تلعبا بالألفاظ يهمل فيه اللفظ، فاللفظ على قدر المعنى لا يكلف الكاتب اللفظ مالا يحتمل من المعنى، ولو عقدنا الموازنة - مثلا - بين هذا النص ونص فارسى من مناجاة عبد الله الأنصارى فى الفارسية، والتضرعات لسنان باشا التركية، أدركنا فى التو أنه يقتصد فى المجاز على حين يسرف عبد الله الأنصارى، وسنان باشا فيهما، وهو أميل منهما فى رغبته فى الإفادة، إنه لا يحاول فيه الفصاحة، إلا بمقدار، ولا يكره اللفظ على أداء المعنى، بل يجعل اللفظ على قدر المعنى.

إنه يركن إلى اللفظ والازدواج والسجعة عنده تتلو السجعة، ولكن عفوا مما يقوم دليلا على أنه بطبعه شاعر له القدرة على إحكام القوافى.

والترتيب بعد ذلك على شعره العربى نورد المثال منه ونمعن النظر فيه. إن لشاعرنا ديوانا تحت عنوان بساتين الغفران، يقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة، ويستدل من عنوان الديوان على نوعية محتواه من الشعر. فهو مديح فى الرسول صلى الله عليه وسلم - وآل

بيته وصحابته رضى الله عنهم، وكذا فى مدح أولياء الله ومشاهير معاصريه من رجال الدين، فهو من نمط الشعر الدينى، صحيح النسبة إلى صاحبه، وهو فقيه من أهل التقوى والورع، وخلوه من فنون الشعر الأخرى فى الغزل والوصف - مثلا - يستبين منه أنه إنما شاء أن يعبر بشعره عن عاطفته الدينية، وكره لنفسه أن يهيم فى كل واد ويحلق فى بعيد من خيال، ولم يقل فى الغزل إلا أقل القليل من الأبيات، وإن تعجب فعجب أنه بعد قوله لهما يتأثم مما قال كأنما وقع فى وزر لأن الغزل عنده يتنافى مع وقاره كرجل دين مرموق المنزلة. إنه يذكرنا برأى العلماء والفقهاء فى الشعر، فها هو ذا من يقول:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

كما روى عن بعضهم قولهم: «إن قول الشعر ينقض الوضوء» وإن قوله لا يليق بالفقهاء. يقول محمد أحمد رضا خان[16]:

بانت وما لانت فبانت لوعتى
يا خيبتى فى الصبر والكتمان

راحت أزمة راحتى من راحتى
وكذاك كل مودع الأخدان

ما مضمضت عينى بنوم مذ مضت
وكذاك كل مفارق الخلان

سامت فؤادى ثم لم تعط الثمن
ياليتها طرت بلا أثمان

لا تنجز الميعاد لكن لم أكن
لأعيبها كلا وما هو شانى

مه يا رضا يا ابن الكرام الأتقيا
يا غرس دوح العلم والإتقان

دعْ عنك هذا لست أهل بطالة
ونهاض إلى ما كنت فيه تضانى

---

(١٦) بساتين الغفران، ص٧٢ : ٧٤.

لله درك يا نصيح نديه

أيقظتنى من غفلة الوسنان

أحسنت فيما قلت فاسترذلتنى

يسبل عليك الله ستر أمان

ونظر فى هذه الطائفة من الأبيات من حيث المبنى والمعنى فنقول أول ما نقول إن مبناها لا غبار عليه فى العربية كما أن معناها مما نعهد ونعرف ونألف فى الشعر العربى والفارسى والتركى والأردى. إذا احتكمنا إلى ملكتنا فى التذوق لجمالية الشعر العربى، ألفينا أنها فى بعض المواضع تبدو غريبة الوضع أو جديدته على التذوق الفنى.

إنها تذكرنا بأشعار من يعرفون بأصحاب اللسانين عند الفرس وفى طليعتهم الشاعر سعدى الشيرازى، فنحن نجد فى أنفسنا هذا الشعور، إذا قرأنا رثاءه لبغداد. إن الشاعر لا يبدو فى غزله متأثرا بشعراء الأدب الإسلامى، ونعنى بهم شعراء الفارسية، والتركية، والأردية، الذين جرت عادتهم، وما استطاعوا أن ينفكوا عن تلك العادة، بأن يستهلوا قصائدهم بالتغزل فى الشّعر، فما تغزل هؤلاء الشعراء فى شئ من محاسن المرأة، ما تغزلوا فى شعرها، وهو شعَّر على الدوام ينفح عطرا، كما أنه ثائر الغدائر متفرقها وهو فى الأغلب قيود لقلب العاشق أو حباله يتردى فيها قلبه الولهان. وهذا قاطع الدلالة على أنه قال فى الغزل رياضة ليس إلا، وما انطلق فى ذلك على سجيته ولا استجاب لجبلته. إنه ليس من فرسان هذا الميدان ما فى ذلك من ريب وإن لم يعجزه أن ينظم فيه، كما أنه مذكرنا كذلك بشاعر تركى عراقى هو فضولى البغدادى فى شعره العربى فما قال شعرا فى الغزل، ولا تغزل فى شعر الحبيب الغريب، بل قال فى غير ذلك من غرض ونحن نحكم على شعره بهذا على قدر ما وصلنا من شعره العربى الذى قيل إن معظمه مفقود.

ويقول أحمد رضا خان فى الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم[١٧]:

وصلاة ربى دائما وعلى

خير البرية سيد الأكوان

صلى المجيد على الرسول وفضله

ومحبه ومطيعه بحنان

---

(١٧) بساتين الغفران، ص٨٨.

صلى عليك الله يا ملك الورى

ما غرد القمرى فى الأفنان

صلى عليك الله يا فرد العلى

ما أطرب الورقاء بالألحان

إنه يعبر فى هذه الأبيات عن عاطفته نحو الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصلاة عليه، إنه لا يصيب صفته، بل حسبه أن يفصح عن محبته له، ويريد أن تكون الصلاة عليه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ويصور هذه الديمومة بهديل الحمائم على الأغصان، فإنها لا تكف عن هذا من هديلها مادام فى البستان أغصان وللبساتين دوام البقاء مادام للأرض هذا الدوام. إنه يريد أن يشرك الناس قاطبة فى الصلاة على النبى.

كما يقول متوسلا به صلى الله عليه وسلم[١٨]:

الحمد للمتوحد . بجلاله المتفرد

وصلاة مولانا خير الأنام

على محمد

فإلى العظيم توسلى بكتابه وبأحمد

وبمن أتى بكلامه وبمن هدى وبمن هدى

وبطيبة وبمن حوت وبمنبر وبمسجد

وبكل من وجد الرضا من عند رب واحد

قرآننا قربانا والله أقرب شاهد

وأدم صلاتك والسلا م على الحبيب الأجود

واجعل بها أحمد رضا عبدا بحرز

إنه يلوح به متوسلا إليه على أنه الشفيع المشفع عليه الصلاة والسلام، وهذا يستدل منه على فرط تعلقه بمحبته، ويستطرد به السياق إلى ذكر المدينة المنورة وفيها من آل بيته، وصحابته.

كما أنه يأمل أن يستجيب الله دعاءه ويجعل ذكر الكتاب المبين وسيلته إلى ذلك، كما

---

(١٨) بساتين الغفران، ص٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٩.

يستحلفه بالروح الأمين عليه السلام، والمنبر والمسجد، وبكل مؤمن موقن فى مرضاة الله. ويريد للصلاة على النبى دواما بغير منتهى.

وللسياق أن يمضى بنا إلى توسل الشاعر بالإمام محيى الدين عبد القادر الجيلانى، أملا فى أن يؤيده فى دعائه الذى يتوق إلى أن يكون مستجابا. إنه يعتز إلى أبعد مدى بهذا الشيخ ويردد مدحه فى ديوانه العربى والأردى، وها هو ذا يقول[١٩] فيه رضى الله عنه:

حـمـدا يا مـفـضل عـبـد القـادر ... يا ذا الأفـضـال
يا منعم يا مـجـمل عـبـد القـادر ... أنت المتـعـال
مـولاى بما مننت بالجـود عليـه ... مـن دون سـؤال
امْنُنْ وأجب سـائل عـبـد القـادر ... جـد بالآمـال

وبالنظر فى هذا الشعر العربى نلتفت فى التو إلى أنه من نمط مغاير لما نعهد من أنماط الشعر العربى، فهو من النمط المعروف فى الفارسية بالمستزاد، وفيه تزاد بضع جمل أو ألفاظ على كل شطر فيه، ولابد أن تكون فى وزنها ورويها كالشطر الذى سبقها[٢٠].

وإذا أضفنا هذا المستزاد إلى ما أسلفنا ذكره من المخلص قلنا إن شاعرنا استخدم فى الشعر العربى ما لا إلف لنا به، وإنما أخذه عن الشعر الفارسى، والأردى. وإذا احتكمنا إلى ذوقنا العربى وجدنا أن مثل هذا الكلام لا يقع موقعه عندنا، وإن وقع موقعه فى الشعر الفارسى والأردى والتركى. ولكن يعنينا من هذا الشعر أنه يشير إلى منزلة عبد القادر الجيلانى شيخه الموقر فيذكره بكل جميل ويضفى عليه ما يضفى من توقير وتقدير. ولا غرو فهو يأخذ أخذه فى طريقته وهذا هو الحقيقة التى نسعى إلى تمثلها من إيراد ذلك المثال من شعره فى شيخه، كما أنه فى منظومته السلامية يمدح عبد القادر الجيلانى فى معرض مدحه للأولياء.

وهو القائل[٢١]:

فـمـتى تلوذ بجـاهه وتقـول يا ... الـلـه يا رباه يا حنـان
يا حق يا سـبوح يا قـدوس يا ... مـن لا يسوغ لغيـره سبحان
كم نعمـة أوليت مـا أنا أهلهـا ... ومنحت مـجانا بلا أثمان

(١٩) بساتين الغفران، ٢٠٩.
(٢٠) حسين مجيب المصرى، تاريخ الأدب التركى، ص٤٣ (القاهرة، ١٩٥١).
(٢١) بساتين الغفران، ص٨٥، ٨٧.

سمعا فؤادا ناظرا متكلما ... رجلا يدا والعد قد أعيانى
وأجلها دين النبى المصطفى ... والاعتصام بحبل سبع مثانى
أيقظتنى وأتمتنى وعصمتنى ... مما يسىء بأعين ترعانى
وإذا تجلى نور حسن المصطفى ... يوم الجزا فأرح به أعيانى
أرنى إذن قمرا تضاءل دونه ... كل الكواكب واختفى القمران

فهذا ما يعرف فى فنون الشعر بالابتهال، والابتهال أخص من الدعاء فى حديث شريف (إن الدعاء مخ العبادة) ولكن الابتهال فى نظرنا أخص من الدعاء، لأنه الدعاء إلى الله بإخلاص واجتهاد وتضرع.

والمعنى لا غبار عليه، وإن كان اللفظ فيه مسحة من عجمة إلا أن ذلك متعارف مألوف كما أسلفنا القول فى الشعر العربى الذى تفيض به قرائح شعراء من غير العرب.

ومعلوم أن الابتهال رغبة فى الإشارة إلى ضعف الإنسان أمام قدرة الرحمن، وأن المبتهل إنما يعتقد الأمل بغفار الذنوب وذلك من فرط محبته له، إنه يلوذ به فى محنته، ويريد له أن يكشف كربته، وعليه فهو لون من التعبير عن عاطفة المؤمن الموقن الذى يأمل من ربه أن يغتفر له السيئات ويحط عنه ما فرط منه فى جنبه، وهذا مظهر لتمام الإيمان وذروة التقوى.

ويجرى نفس المجرى قوله[٢٢]:

إلهى تجاوزت عن سيئاتى ... وآمنتنى إذ تشيب الذوائب
فأنى عبيد فقير ذليل ... وأنت الكريم الجلى
جد لى بجعلى كأسماء أصلى ... المواهب

إنه فى هذا الشعر يذكر أباه محمد نقى على خان وجده محمد رضا على خان، وجده العلى سعيد الله خان، كأنما يطلب الرحمة لهم جميعا معه فى دعاء وابتهال.

وله رثاء فى كثير من أقطاب التصوف الذين جلس منهم مجلس التلميذ، فسمع منهم، وأخذ عنهم، ومنهم الشيخ السيد آل رسول المارهروى[٢٣]:

خذ التاريخ فى التوشيح نظما
يلوح كأنه البدر المنير

(٢٢) بساتين الغفران، ص١٧٤.
(٢٣) بساتين الغفران، ص١٩٤.

وخـــذ من كل قطر مـــثل سطر

تكن ســـتـــا وليس له نظيـــر

ولـى طـاهـر بـر إمـــــــــام

وصـــول طيب بدر أمـــيـــر

وحـــيـــد طائع بحـــر إمـــام

ودود طائب بدل أجـــيـــر

ويلحظ على رثائه أنه لا يركب الشطط فى المبالغات التى نصادفها فى الرثاء، كقول بعضهم إن السماء تمطر دما، ولا أن أركان الدنيا تهدمت، ولا أن البحار جرت دموعا - مثلا - فهذه مبالغات مرذولة إذا وضعناها فى قسطاس الذوق، كما أنه شعر فى التاريخ وهذا ما جرت به عادة الشعراء فى حين يرغبون فى تأريخ وفاة عظيم.

ونلتفت بعد ذلك إلى ما طلب منه بعض أهل العلم الذين أخرجوا كتبا دينية بالأردية فرغبوا إليه أن يكتب لها تاريخا، فنزل على رغبتهم، إلا أنه نظم تاريخا بالعربية، والنظم بالعربية فى مثل هذه المناسبات من الدليل على أن الشاعر يريد الإعظام والإجلال، وذلك بتعبيره بلغة كتاب الله المبين. ولقد عرف عنه أنه كان حاضر البديهة إلى حد بعيد فى التاريخ، فينظمه عفو الخاطر. قال فى تأريخ كتاب بعنوان: العسل المصفى فى عقائد أرباب سنة المصطفى [٢٤]:

أكـرم بنار ضـوءها يجلو الدجى

من أحـمـد النورى جـاء مـبـينا

نور الهـدى بحر التقى بدر النقى

أضـحى له حـفظ الإله مـعـينا

مِنْ آل مَنْ رَضِىَ البـلا فى كـربلا

من أهل من خلق الحسين حسينا

يا قـوم هذا الحق، هذا المنتـقى

هذا النجـاة إن اتخـذتم دينا

(٢٤) بساتين الغفران، ص١٦١.

عـسل مـصـفى باليـقين فلم يذر

بذواقـــه ظنا ولا تخـــمـــينا

قـال الرضـا أرخ رسـالة سـيـدى

هـذا هو الحق الصـريح مـبـينا

وصـاحب هذا الكتـاب هو الشيـخ أبو الحسين أحـمـد النورى الملقب بميان صـاحب القادرى: إن الشاعر يشير إلى نسبه وحسبه لأنه متصل النسب بالإمام الحسين - رضى الله عنه - ويلمح إلى أنه رضى البلاء فى كربلاء ولا عجب فى ذلك، فإن واقعة كربلاء ومصرع سبط النبى - صلى الله عليه وسلم - فيها جعلت المسلمين أجمعين دوما على ذكر منها.

إن شاعرنا يميل إلى ذكر الصفات تكرارا وذلك ما يسترعى النظر فى شعره العربى على الأعم، وكأنما يريد بذلك تقوية ما يقصد إليه من معنى، ولكن هذا التكرار إذا تجاوز الحد ربما شوه من جمال المعنى، فحسب الشاعر أن يورد صفة أو أكثر قليلا، وهذا ما يبلغ به مقـصده على نحـو أفصح وأوقع فى النفس. ويحـتـمل أن يكون راغبـا فى التباهى بما فى جعبته من ألفاظ عربية ليؤكد أنه يملك ناصية لغة الضاد.

أما فن المديح فله فيه شعر، إلا أنه لم يمدح عظيما طلبا للزلفى، ولا أملا فى نوال، فقد عفت نفسه عما لم تعف عنه نفوس الكثرة الكاثرة من الشعراء وآية ذلك ما قيل إن أحد أمراء شبه القارة استدعاه ليمدحه غير أنه أبى ذلك وكرهه كل الكراهة وما قبل أن ينقل خطاه إلى قصره.

لقد قصر مديحه على الأولياء وصفوة العلماء وهذا ما نقع عليه فى ديوانه الأردى على السواء، لقد مدح ما يربو على عشرين من أهل العلم والفضل مثال ذلك قصيدة طويلة عصماء تحت عنوان: آمال الأبرار وآلام الأشرار [٢٥]، قال فيها:

بمجلسهم تحف طيـور قـدس

ولا يشـقى بهم لهم قـعـيـد

إذا حلوا تمصـرت الفـيـافى

وحين ترحلوا الأمـصـار بيـد

(٢٥) بساتين الغفران، ص١١٩، ١٢٠، ١٢١.

أسمى بعضهم أسماء نظمى
فليس الكل يحتمل النشيد

بقية الأولياء أمين أحمد
أمين أحمد أمن حمود

شمائله تذكرنا الصحابة
سحائبه على كل تجود

وقدوة جمعهم تاج الفحول
أمام الحق ليس له نديد

وما أدراك ما تاج الفحول
بفضل المجد فضله المجيد

وعبد سيد صدر الفضائل
بذى صمد إلى الصمد استفيدوا

ومن للحق إن تنسب تقل إذ
نصير ذا وحيد ذا شهود

غلاما للحسين وللمظفر
عزيز الدين ذا عز يسود

وعبد المقتدر أقدرت قدره
رفيع فوق ما اغتاظ الحسود

إنه يجمع عددا جما من أهل العلم والفضل والدين ويخص كُلا منهم بعدد من الأبيات، والملحوظ أنه لا يمدحهم إلا بالتقوى وغزارة العلم، وبذلك يخرج عن المألوف المعروف فى المدائح، وهو الوصف بالكرم أو الشجاعة وما إلى ذلك، فهذه نوعية من المدائح يختص بها وكأنما أراد أن يجعل لهؤلاء العلماء والفضلاء سجلا فى قصيدته التى تجمعهم.

واتفق أن علماء أهل السنة قدموا من أرجاء البلاد واجتمعت كلمتهم على أن يلقبوا محمد أحمد رضا خان بالمجدد، وقد لزمه هذا اللقب الذى عرف به بين أهل زمانه وإلى يومنا هذا. وقد اعتز بهذا اللقب إلى حد أن شكر الله على نعائمه فمدح نفسه ولكن فى

تواضع جم ولم يقل إلا لاحقا ولم يذكر ضمير المتكلم كأن يقول[٢٦]:

وعالم أهل سنة مصطفانا
مجدد عصره الفرد الفريد

وأسفار بها إسفار صبح
متى يطلع فذا عيد سعيد

وفى أخرى يضرب على الوتر نفسه ولكنه يتجه بالكلام إلى نفسه وكأنما وجد دافعا يدفعه إلى الرغبة فى المزيد فيقول[٢٧]:

مه يا رضا يا ابن الكرام الأتقيا
يا غرس دوح العلم والإتقان

دع عنك هذا لست أهل بطالة
وانهض إلى ما كنت فيه تضانى

إن المعنى الذى يقصد إليه فى هذا المثال وسائر شعره معنى لا غبار عليه، ولكن تعوزه فى بعض المواضع القدرة على متانة السبك شأن جل شعراء الأعاجم الذين جرى الشعر العربى على ألسنتهم، أو فاضت به قرائحهم، وله ولع مرموق بالبديع وهذا ما نعهد فى شعر الأعاجم الذين يعجبون بمظاهر البلاغة فى شعر العرب. ويستخدم فى الأحايين ألفاظا غير مألوفة، يستمدها من محفوظه من اللغة العربية، ولكنه فى استخدامه لها يختلف عن استخدام أهل اللغة العربية، فهى صحيحة فصيحة، ولكن المعول عليه هو أسلوبها فى استخدامها.

وبالذكر حقيق أن ديوانه العربى الذى بين أيدينا لا يحوى كل ما نظم محمد أحمد رضا خان فى العربية، ومازلنا نقع على جديد ومزيد، فمثال ذلك ما قام جامع الديوان بنشره فى كتاب له تحت عنوان «محمد أحمد رضا خان»، والعالم العربى منها سبعة أبيات يمدح فيها أباه وجده والإمام عبد القادر الجيلانى، كما أنه فى بيتين آخرين يتحدث بنعمة الله عليه[٢٨]، وتلك الأبيات ترشد إلى نوعية مدحه الذى ينحصر فى نطاق ضيق أراد ألا يتجاوزه.

(٢٦) بساتين الغفران، ص١٢٠.

(٢٧) بساتين الغفران، ص٧٣، ٧٤.

(٢٨) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص٤٣، ٤٤.

والترتب بعد ذلك على ديوانه الفارسى الذى جمعه ونشره العالم الباكستانى محمد مسعود أحمد، إنه ديوان لطيف الحجم ومع ذلك يتضمن من أطاييب الكلام الكثير والكثير. لقد حصره فى غرض واحد، هو مدح خير البرية ـ صلى الله عليه وسلم ـ وملحوظ أنه لم يتكلف بل انطلق على سجيته فى سهولة ويسر كما أنه لم يجنح إلى غلو المداحين، ذلك الغلو الذى يجرهم إليه ولوعهم بالتلعب بالألفاظ ونثر كل ما فى جعبتهم من بديع، ومعلوم أن الإفراط فى استخدام البديع يصرف المعانى عن وجهها، بل ويفضى إلى جعل الشعر صورة يغمرها فيض من الألوان والأشكال تنطمس تحتها معالم الحقيقة، وهذا ما كان محمد أحمد رضا خان يتجنبه، لأنه إنما عقد عزمه الأكيد على أن يقول حقا وصدقا.

إنه لم يجنح إلى استخدام عبارات وإشارات المتصوفة بل شاء أن يتجه بما نظم فى مدح الرسول إلى المسلمين أجمعين، إنه أراد أن يكون لكلامه أصداء مترددة بين الكثرة الكاثرة من المسلمين على اختلاف ألسنتهم، وذلك بعد أن نظم بالعربية ليشنف آذان أبناء الضاد، نظم بالفارسية ليفهم عنه من لسانهم الفارسية فى إيران وتاجكستان ومن لهم علم بالفارسية فى شبه القارة.

وهنا نرشد إلى أن العلم بالفارسية والاطلاع على آدابها كان ضرورة ثقافية لكل عالم وشاعر وأديب فى شبه القارة، ولا غرو، فقد تأثر الأدب فى شبه القارة بالأدب الفارسى فى أعماقه وأبعاده، ووجد فى شبه القارة من الفرس من كانوا من فطاحل شعراء الفارسية الذين هاجروا فى العصر الصفوى من إيران واستوطنوها، بل نزيد الأمر إيضاحا فنقول إن اللغة الأردية وهى لغة المسلمين، وعدد جم من غير المسلمين فى شبه القارة منسوبة إلى الفرس، فلما فتح السلطان محمود الغزنوى شبه القارة بجنوده، والفارسية لسانهم خالطوا أهل البلد الذى فتحوه، وترتب على ذلك أن امتزجت لغة الفرس بلغة أهل البلاد مما أدى إلى نشأة لغة جديدة هى اللغة الأردية، نسبة إلى كلمة أردو، وهى المعسكر فى التركية، أى أنها نسبة إلى معسكر الفرس، أى إلى جند الفرس الفاتحين الذين كان للغتهم عميق أثرها فى لغة أهل البلاد، إلى حد أن عرفت تلك اللغة الجديدة بلغة معسكر الفرس.

ومحمد أحمد رضا خان كداعية إسلامى إنما أراد أن يفصح عن رأيه ويعبر عن غرضه ويلقن هذا لمن يتلقون عنه حسب لغتهم.

إنه فى ذلك يشبه محمد إقبال الذى كان له نفس الغرض، فنظم بالفارسية أكثر مما نظم

بالأردية، ليطلع على دعوته الإصلاحية مَن فى شبه القارة ومن خارجها على سواء[٢٩].

وهذا شأن الداعية الإسلامى الحق الذى يحمل فى عنقه أمانة النزعة الإصلاحية الإسلامية.

إنه يبدو فى هذا الشعر عاشقا للرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكرنا بأن عشق الرسول يدفع عشاقه من الشعراء إلى أن يعبروا عن عاطفة المحبة نحوه.

وفى هذا الصدد يخطر بالبال شاعر تركى من أهل القرن الرابع عشر يسمى سليمان چلبى، له منظومة بعنوان المولد الشريف، ولنظمه إياها قصة تستطرف.

قيل: إن رجلا من أهل الشام كان يلقى السمع ـ ذات يوم ـ إلى واعظ فى مدينة برصه يقول إنه لا يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل، فالرسل جميعا فى الفضل سواسية، وحجته فى ذلك قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾.

وما مر هذا من كلام الواعظ بسمع هذا الرجل حتى أخذه مر الأسى كما اعتلج فى صدره شديد الغضب إلى حد أن قتل هذا الواعظ ومر هذا الخبر بسمع سليمان چلبى، فوجد فى نفسه دافعا جد قوى إلى ضرورة أن ينصفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممن قصروا فى جنبه وقالوا عنه ما لا يستقيم فى العقل، فنظم هذه المنظومة معبرا فيها عن عاطفة المحبة نحو سيد الخلق ـ صلى اله عليه وسلم ـ وهو يسرد سيرته من لدن مولده إلى لحاقه بالرفيق الأعلى..

ويعتبر نظم هذا المولد تأييدا لأهل السنة، وتكئة اعتمدوا عليها فى كل زمان[٣٠].

إن كلا من هذا الشاعر الهندى والتركى يلتقيان عل صنيع واحد، أو متشابه، وهو فرط المحبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم.

وندرك من كلام محمد أحمد رضا خان أنه عاشق صادق، لأن عشقه متعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم، ومن كل لفظ فى كلامه يفوح شذا المحبة، ذلك الشذا الذى يعطر قلوب أهل لا إله إلا الله، كما تعمر به روح المؤمنين الموقنين، وكان له من عشقه للنبى رفعة الفكر وعلو المقام، واجتذب إليه القلوب وجعل العيون تفيض من الدمع[٣١].

وفى عود إلى الشاعر التركى سليمان چلبى ومولده نقول: إن الترك إلى يومنا هذا

---

(٢٩) Bailey A History Of Urdu Literaure PP 103, 104 Lshoe

(٣٠) AHMED ATES, MEVLID. S. P 32 Istanbul. 1954.

(٣١) أرمغان رضا، ص٤، ٥ (لاهور، ١٩٩٤م).

يجتمعون فى شهر ربيع من كل عام ليلقوا السمع إلى من يرتل هذا المولد بصوت بلبلى فيقع الخشوع فى القلوب، وتفيض من دمعها العيون.

وهنا ندرك كيف أن هذين الشاعرين بعشقهما للرسول صلى الله عليه وسلم كان لهما أثرا مماثلا عند المسلمين.

ومن الباحثين من يدلى برأى فى النعت، أى فى مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيستوجب فى مدح الرسول التزام التأدب، وإقامة الفرق بين مدح الرسول وبين الغزل فى القصائد والغزليات التى ألف الشعراء أن يقولوا ما نعرف ونألف من كلامهم فى تغزلهم بالحبيب. بل ينبغى للشاعر أن يلتزم بما قاله الله فى حقه: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ و﴿كان فضل الله عليك عظيما﴾و﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾، فالمدح وسيلة إلى وصف فخر الكائنات، والمعول عليه أن يدقق ويحقق فى وصف أحواله صلى الله عليه وسلم، فمثل هذا ما يزدان به شعره.

وهذا ما يتوضح لنا فى مدح محمد أحمد رضا خان فمدائحه لها من السيرورة ما لها فى أرجاء شبه القارة.

إن أحمد رضا بنظمه فى مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما يريد أن يحرك الشوق والأمل فى النفوس، ويرقق من قلوب غلف، وعليه فهو يتخذ وسيلته إلى هذا من غايته بمدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم[٣٢].

ونحن نؤيد رأى محمد أنعام الحق كوثر فيما ذهب إليه من أنه حقق بغيته من نظم مديحه على نحو خاص يتجافى عن شطح بعض شعراء المديح وشططهم فى الوصف الذى لا يستحب عند من خشعت قلوبهم لوصف النبى وأيقنوا أن ذكره على أى نحو كان، لزام أن يكون مختصا به دون من سواه وله خصيصة فترشد إلى القدسية والروحانية.

والنظرة فى ديوانه الفارسى ترشد فى التو إلى أن كلامه لا يبدو على حال من الحال كلاما لشاعر ليست الفارسية لسانه، فهو جيد العبارة متين السبك، ونسوق الأمثلة لذلك من منظومة تتألف من مقاطع يلتزم فيها ما يعرف فى الشعر الفارسى والتركى والأردى بالرديف.

والرديف اصطلاحا كلمة أو كلام يلحق بآخر كل بيت يكرر فى المنظومة من بدايتها إلى

(٣٢) أرمغان رضا، ص٦ : ٨.

نهايتها، تلتزم قبله قافية موحدة ومعلوم أن هذا التكرار يكسب الكلام تأكيدا لمعناه وتعبيرا عن الرغبة فى الإشارة إلى غرض أو معنى على التعيين والتحديد، فضلا عن أنه يكسب الكلام إيقاعا وتنغيما محببا وهذا ما لا إلف للعرب بمثله فى شعرهم، يقول أحمد[٣٣] رضا:

لتكن الروح والقلب منى فداء، لسيد البطحاء،
ولتكن هامة هذا المكدود القدم، لسيد البطحاء.
لن تتسع قطرة لمديح الخضم،
ولا لوصف رب سيد البطحاء.
من أجل رفع لزفرتى كالعلم،
احشرنى تحت علم سيد البطحاء.
كان سليمان يقول بكل ماله من شوكة وعظم،
سلطان الدنيا سائل سيد البطحاء.
يأخذنى البكاء والنحيب وأحترق بذياك الغم،
رباه أبلغنى رحاب سيد البطحاء.
الحرقة واللوعة وفرط الألم،
ذاك بقلبى من أجل سيد البطحاء.
بلاء من الأولى وهول الأخرى المعتصم،
فى ظل ذيل قباء سيد البطحاء.
طائر السدرة أول ما ترنم،
تغنى بخصال سيد البطحاء.
لم يكترث لعروش كم وكم،
حتى كان أعظم عرش موضع سيد البطحاء.
حبيب الله دليل الإسراء سيد الكونين،
يا لها منزلة لم ينلها سوى سيد البطحاء.
دع عنك مثل (رضا) كل ما هو شاغلك،
واطلب فى كل أمر لك رضا سيد البطحاء.

(٣٣) أرمغان رضا، ص١١، ١٢.

فهذا مديح ولكن على نحو خاص، لأنه مقرون بالابتهال والدعاء. . إن هذا الدعاء لا شك إقرار بالعبودية لرب العالمين، وهذه العبودية هى الإيمان الحق الذى تعمر به قلوب أهل لا إله إلا الله، إن الشاعر يفسر الحقيقة بالمجاز، ولكن فى غير تجاوز لحد الحقيقة وكلامه من ألفه إلى يائه خلو من مصطلحات التصوف التى لا يحيط بشىء منها إلا الراسخون فى العلم.

إنه ينزل النبى - صلى الله عليه وسلم - منزلته كما يريد ليعفر الجبين أمامه لا تعفير ذل وخذى بل تعفير إجلال وإعظام وإكرام وتوقير وتقدير. . إنه يقول حقا وصدقا إنه يشكو عجزه، من أنه عاجز كل العجز عن أن يوفى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - حقه من مدحه ولا يبلغ فى وصفه مبلغا يرتضيه، ويحسن التعبير عن ذلك برسم صورة للقطرة الصغيرة التى لا تتسع لتصور البحر الخضم ذى الموج الملتطم. ويريد ليكون مجاهدا فى سبيل الله تحت إمرة سيد المجاهدين، ويحزنه أنه لم يحقق ذلك من شوقه وتوقه، فيدعو الله أن يحشره تحت علمه فى يوم الدين.

كما يبين أن من لهم السلطان فى الأرض ومن تخر جباه الملوك عند أقدامهم لن يكونوا أمام الرسول الكريم إلا كذلك المعدم الذى يمد يده بالسؤال أملا فى نوال.

كما يتشبه بالعاشق الولهان الذى يتحرق شوقا إلى لقاء الحبيب البعيد وحبيبه هو خير البرية، ويأمل لقاءه يوم يشفع له عند ربه لتنحط عنه خطاياه ويغفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر.

إنه يعبر عما يموج بين جوانحه من تباريح الأسى، وذلك لفرط هيامه بالرسول. إنه لا يفتعل هذا الحزن لأنه يقرن بينه وبين الشوق إلى الحبيب. وبعد أن يصف ما يكابد فيه من شوق يبتهل إليه ويريد ليتعلق بطرف قباءه مستجيرا مما ابتلى به فى دنياه وما يخشاه فى أخراه.

ويتجه من بعد إلى طائر سدرة المنتهى ويتمثله فى غنائه وتطريبه متغنيا بما للنبى - صلى الله عليه وسلم - من حميد الخصال، ويريد بذلك أن يجعل الكون بأسره مادحا له. ويقول إن هذا الطائر لم يكترث بالوقوع على عروش الملوك، وآثر عليها أن يقف حيث يقف صلى الله عليه وسلم.

ويفضله على الخلق جميعا وقد اختصه الله تعالى بأن أسرى به ليلا، وتلك منزلة لم ينلها نبى ولا رسول. ثم يختتم كلامه بذكر تخلصه وهو اسمه المستعار فى الشعر، ويريد

ليقطع العلائق بينه وبين كل شىء فى دنياه وحسبه أن يكون موصول الصلة بسيد مكة صلى الله عليه وسلم.

إنه لم يضرب على قالب المتصوفة فى تعبيرهم عن عشقهم الصوفى كتعبيرهم عن العشق الإنسانى ونزه كلامه عن هذا الصنيع خشوعا أمام هيبة النبى، وأراد لقوله أن يكون كلاما يستقيم فى العقل ويقع موقعه فى اللب.

ويقول فيما يجرى هذا المجرى[٣٤]:

(بعيد عن محلة صاحب الكوثر، من لوعة القلب الدمع انهمر. فى فراقك يا رسول الله، لا قرار لقلب فى بلواه، لك لطف برضا دوما يدوم، أنت يا مرهما لما فى القلوب من كُلُوم. ما خلق الروح سوى الرحمن، وما خلق كمثلك حبيب هو إنسان. منذ أقيمت للرسالة قصور، كنت فى مخدعها شمعة نور. حين خلق الربيع من حسنك الزهر، خلق (رضا) ليقول فيك الشعر).

فى هذه الأبيات أمارة من تأثره بالشعر الصوفى، ولا غرو، فمثله من رسخت قدمه واتسعت باعه فى علمه بأصول التصوف واطلع على ما نظم شعراء الفرس والعرب وشبه القارة من شعر صوفى. فالمحلة فى شعر المتصوفة بمعنى مقام العبودية[٣٥].

إن شاعرنا يضمر هذا المعنى فى قرارة نفسه، ويريد ليكون عبدا مطيعا للرسول - صلى الله عليه وسلم - من فرط حبه له، ولكن كلامه يرسم فى الخيال صورة لمحلة الحبيب على الحقيقة، وكأنما أراد الجمع بين الحسنيين، المعنى الصوفى الاصطلاحى والمعنى المعجمى الحقيقى.

إنه يجرى على لسانه ما يجرى على لسان المتيم الولهان، إلا أنه يركن إلى ذكر هذه المحلة التى تردد ذكرها فى شعر المتصوفة وبذلك يؤكد له المعنى الذى يريد عنه إفصاحا وإيضاحا.

بعد الخيال سرعان ما يتجه إلى الحقيقة، فيمدح الرسول بأنه حبيب الله وحبيب عباد الله، وهذا ما تفرد به عليه الصلاة وأزكى السلام، ولكنه لا ينفك عن خياله الذى يحلق به كل محلق، فيفسر الحقيقة بالخيال وجميل منه أن يتخيل للرسالة صروحا شوامخ وأن

(٣٤) أرمغان رضا، ص١٣، ١٤.

(٣٥) د. سجادى، فرهنك لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفانى، ص٣٩٧، الطبعة الثانية، (طهران ١٣٥٤).

يختصه بوصفه شمعة نور تنير فى تلك الصروح وبذلك يسمو به إلى سمو منزلته ورفعة قدره صلى الله عليه وسلم .

وفى مختتم كلامه لا ينسى نفسه، فيرد الباعث الذى بعثه على قول الشعر فيه إلى ما اتصف به من جمال حسى ومعنوى .

وينتهى ديوانه الفارسى برباعيتين لا يخرج فيهما عما تضمن شعره من صور ومعان أسلفنا ذكرها ووصفها .

ولقد نظم أحمد رضا فيما يعرف بالملمعات، والشعر الملمع فى الاصطلاح العروضي أن يقول الشاعر فى الفارسية أو الأردية أو غيرهما، شعرا يتضمن شطرا أو بيتا أو أبياتا بالعربية، والأصل فى كلمة ملمع من التلميع، وهو أن يكون في جسم الفرس أجزاء تختلف فى لونها عن لون جسده، كأن يكون فى الفرس الأبيض أجزاء سوداء، وفى الفرس الأسود أجزاء بيضاء، فأطلق هذا على الشعر على التشبيه .

وهذا فى نظرنا من الدليل على ولوع أحمد رضا باللغة العربية التى يريد أن يقرن شيئا منها بالفارسية والأردية، والهندية . إن شاعرا غيره من شعراء الأردية لا يشبهه فيما صنع[٣٦] .

شعره الأردى:

والقول بعد ذلك على شعر أحمد رضا فى اللغة الأردية، لأحمد رضا ديوان كبير فى الأردية هو: «حدائق بخشش» أى حدائق الغفران، يتألف من ثلاثة أجزاء، طبع جزءان منه فى حياته، والثالث بعد أن استأثرت به رحمه الله، وقد أعيد طبعه عشرات المرات فى أحجام متفاوتة فى شبه القارة .

وأول ما يلفتنا إلى هذا الديوان أن معظم ما انطوى عليه فى مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل بيته وصحابته والأولياء رضوان الله عليهم .

وأهل العلم فى شبه القارة يجعلون لهذا الديوان منزلة لا تسامى، ويعدونه بحق أفضل ما قيل في مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد توفر كثير منهم على دراسته وشرحه وتفسيره، ولعل أحراهم بالذكر العلامة فيضى أحمد الأويسى، فقد أخلى ذرعه ليقدم شرحا يقع فى خمسة وعشرين جزء كبيرا تحت عنوان (الحقائق فى الحدائق) . كما استمد المنتخبات منه العالم الجليل دكتور محمد مسعود أحمد تحت عنوان (انتخاب حدائق

(٣٦) جهان رضا، لمريد أحمد الجشتي، ص ١٨٩ (لاهور، ١٤٠١هـ) .

بخشش) .

أما المفتى محمد خان القادرى، فقام بشرح كل بيت على حده شرحا وافيا جامعا مانعا، فاستخرج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأصلها كما أرخ لما فيه مس الحاجة إلى التأريخ كالمغازى وما يتصل منها بسبب .

وكان صنيعه هذا موضع تقدير عظيم من أهل العلم كما اهتمت به الصحافة على أنه أمر ذو بال، وله طبعة فاخرة فى باكستان تعد تحفة فى الطباعة، وذلك قاطع الدلالة على أهمية هذا الكتاب، وتفرده فى نوعيته .

والمنتخب من هذا الديوان طبع كذلك طبعة تليق بمكانة صاحبه ونفاسة ما بين دفتيه . وغير شك أن من ينتخب لابد أن يقع على خير ما ينتخب .

ويسعنا بناء عليه أن نقول إن شعر هذا الديوان المنتخب يعد بحق أفضل ما فاضت به قرائح شعراء الأردية فى مدح خير البرية . فلم يبق إلا أن نورد منه الشواهد لتوكيد ما نذهب إليه .

(برمال صحراء العرب تشرق مرآة الصبح إذا أسفر، أما ما تصاعد من دخان سرجهم فتطرية لجبين القمر . للربيع حلول فى كل بستان، ولكن سرعان ما يدب فيه الذبول، ومن عجب أن ربيع بستان العرب ليس له من خريف ولا من ذبول . عندما خرج يوسف الصديق بحسنه فى مصر على بعض النساء، قطعن أصابعهن، ولكن عشاق العرب وفرسانهم جعلوا الروح لك يا رسول الله الفداء . لرسول الله عبير فواح فى كل النواحي، فى طيبة حيثما كان المسير تنسمت الجمال من هذا العبير . أنا الأعجمى رضا يا رسول الله، حسبى من كرمك وتوسلا بما قلت فى مدحك أن أكون خادما لحسان شاعرك) .

هذه الطائفة من الأبيات فيها البرهان القاطع على أن أحمد رضا متأثر كل التأثر بالتراث الإسلامى بعامة وجانبه الدينى بخاصة . إنه فى حقيقة الحال يعبر عن الصلات الموصولة بين المسلمين أجمعين بفضل دين الله . إنه يعشق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قلب موقن مؤمن وبالتالى يميل كل الميل إلى إخوته فى الدين، وهم العرب . إنه فى نشوة حبه هذا يركن إلى التخييل والتمثيل، وله التوفيق بلا ريب، فى رسم صورة شعرية رائعة لها ما لها من وقع فى كل القلوب، إنه لا ينسى شاعر النبى، ويود ليكون شبيهه، أى أنه يريد لنفسه أن يكون شاعر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحقيقة الحال أن أحمد رضا لم يتجاوز الحد فى هذا، من قوله لأنه كان شاعر النبى، ولكن على نحو آخر، فقد كرس شعره وكاد

يحصره حصرا فى مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم . وهذا أمر له ما له من أثر .

إنه يحب العرب ولا غرو ، فمنهم سيد البرية ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولقد أشرق نور الإسلام فى أرضهم ، فما كان بدعا أن يهوى فؤاده إلى العرب وبلادهم وهكذا يجمع الدين الحنيف المسلمين على صنيع واحد ، وهو تآلفهم وتآخيهم .

(أنا من يهوى دنيا العرب ، ذلك أنها موطن سيد العرب ، أنا محب لكل شيء فى دنياهم ، فحينما بلغت طيبة قبلت ترابها وطاب لى لثم ورودها بل وأشواكها . . إن كل شيء فى دنياها أغبطه لوجوده فيها . إن حنينى يحن دوما إلى المدينة ، بل يزداد هذا الهيام على مر الأيام . إن جنة الخلد نصيب من فى حب العرب يستشهد ، وكذا فيمن مدح سيد الأنبياء .

إن الحزن يغشى فؤادى ولا ينفك عنى طرفة عين بعد أن فارقت أرض العرب . لا طاقة لى بهذا الفراق)[٣٧] .

إن الشاعر لا يكاد يجد كلاما ينطق عن سريرته ودخيلة نفسه وهو يريد التعبير عن مبلغ حبه لنبى العرب ، والعرب . إن المعنى كلما دق ورق تعسر أو تعذر عنه التعبير ، ومع ذلك فأحمد رضا يبذل وسعه فى تعبيره عن مبلغ حبه وهذا ما لا نذكر أننا وقعنا عليه فى كلام شاعر من أهل لا إله إلا الله .

إنه فى ضرورة أن يفسر الحقيقة بالمجاز ولذلك يستعير منه مضطرا وقد عرفناه من قبل ميالا إلى بلوغ الحقيقة دون الأخذ بالمجاز ولكن ذلك الحب الذى ملأ رحاب نفسه جعله مضطرا إلى أن يحذو حذو الشعراء العشاق ، والشاعر العاشق لا يقول إلا حقا ، وإن زحم كلامه بالمجاز . فالمجاز فى هذا الشعر صنو للحقيقة ، وهو يساندها ويعاضدها .

ومما لا ريب فيه أنه أقام الدليل القاطع على أن الدين الحنيف جمع المسلمين أجمعين على التعاطف والتآلف ، فكلامه صلة موصولة بينهم . إنه يشبه فى صنيعه هذا الشاعر محمد إقبال ، ولكن إنصافا للحق نقول إن أحمد رضا كان أقوى عاطفة وأشد هياما وأميل إلى الروحانية من المادية ، وكانت عاطفته أقوى من عقله فى حين كان محمد إقبال أميل إلى التدبر والتعقل .

ويقول كذلك متعجبا متمثلا :

(٣٧) أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص١٥١ .

(كيف تسألون عن وصول المصطفى إلى العرش ، هذا مالا يستطيع أن يجيب عليه كائن من كان ، ففوق العرش يحترق للكيف الجناحان . إن العقول لفى حيرة فى سرد قصر (دنى) فاسألوا عن ذلك روح القدس ، إن ذلك لسر خفى لا مجال فيه لعقل إنسان . لما سعدنا بوصال مصطفانا فى البستان ، سرعان ما حانت ساعة الهجران ففاضت من الدمع العينان)[٣٨] .

إن الشاعر مع أنه لا يملك جماحا لعاطفته الفياضة ، يثوب إلى عقله فى الفينة بعد الفينة ، فيتفكر ويتدبر المعراج وكيف عرج به صلى الله عليه وسلم إلى العرش ، فيشير إلى حقيقة لا ريب فيها ، وهى أنه لما بلغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ سدرة المنتهى مع جبريل عليه السلام ، توقف جبريل ولم يستطع أن يتابعه وخشى أن يحترق منه الجناح ، فمضى وحده ، وتلك ميزة له ، ما فى ذلك ريب ، إنه يعلل الحقيقة بحقيقة أخرى وهو يعبر عن عاطفته التى تتدفق من كلامه تدفق الماء النمير من الغدير .

وهنا وقفة نقع فيها على ملحظ ، فإقبال فى كتابه «جاويد نامه» يتخيل أنه عرج به فى السماء ، أما هو فيقول باستحالة ذلك لأن جبريل نفسه وهو من هو لم يحقق من ذلك أربا .

ولنا بعد إيراد تلك الأمثلة من شعره فى الأردية أن نقول : إنه فى شعره الأردى كان معنيا أولا وبالذات فى التعبير عن محبته للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهذا مديح ، ولكنه يختلف عن المديح التقليدى الذى ترنم به شعراء المسلمين ، إنه العشق في روحانيته الرقراقة ورقته التى بلغت المدى . وعليه فديوان حدائق بخشش ـ أى حدائق الغفران ـ حقيق بمنزلته الرفيعة التى له في الشعر الإسلامى . تلك حقيقة لا تحتمل من شك ولا تأويل .

وقد امتاز أحمد رضا بحدة الذكاء ، وقوة الذاكرة ، وذلك مما شكل ألمعيته وعبقريته ، وعرف بذلك منذ صدر شبابه . ولقد تحدث كثير ممن جلس منهم مجلس التلميذ حديثا عجبا عنه ، فأخذهم شديد العجب لشغفه بالعلم شغفا منقطع النظير . مثال ذلك ما قال الشيخ إحسان حسين ، وكان زميلا له فى دراسته إن أحمد رضا كان يقرأ على أستاذه مقدار ربع من الكتاب ، ثم يعكف هو على قراءته واستيعابه ، ثم يقرأه من بعد على أستاذه لا ينسى منه لفظا ، ولا عبارة[٣٩] . مما يشهد له بقوة الذكاء فضلا عن شدة الميل لتحصيل العلم ، ومعلوم أن شغف المتعلم بالعلم دافعه دفعا للنبوغ فيه .

(٣٨) أحمد رضا خان والعالم العربى .

(٣٩) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص٣٥ .

وبالذكر حقيق أنه فى عام ١٨٦٨ ، نال أحمد رضا إجازة الإفتاء من أبيه ، وفى العام نفسه توفر على التأليف والتصنيف ، ولما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، وللحق تلك إحدى المعجزات . وفى هذا يقول ما نصه[٤٠] : «إن سيدى وأبى وظل رحمة ربى ، خاتم المحققين ، وإمام المدققين ، ماحى الفتن ، حامى السنن سيدنا ومولانا المولوى محمد نقى على خان القادرى البركاتى . أمطر الله تعالى على مرقده الكريم شآبيب رضوانه فى الحاضر والآتى ، أقامنى فى الإفتاء للرابع عشر من شعبان الخير والبشر سنة ١٢٨٦ من هجرة سيد الثقلين عليه وعلى آله الصلوات من رب المشرقين ، ولم تتم لى إذ ذاك أربعة عشر عاما من العمر» .

إنه ناصع البيان مستقيم العبارة واللفظ فى كلامه على قدر المعنى ، نثره العربى أصيل لا أثر فيه للعجمة .

وأحصى العلامة محمد مسعود أحمد تآليف أحمد رضا فى ضوء أقواله وأقوال معاصريه وصنفها ، فذكر أنه وهو فى الثلاثين من عمره بلغ عدد ما أخرج من كتب مائتين . وفى عام ١٩٠٩ كان عدد مؤلفاته ثلاثمائة وخمسين ، وهى خمسين علما وفنا ، كما ذكر ابنه حامد رضا خان ، أن عدد مؤلفاته يربو على أربعمائة ، وبعد أن أدركته المنية كتب تلميذه ظفر الدين بهارى ، يقول : إن له من المؤلفات ما يزيد على ستمائة . وذكر مفتى إعجاز ولى خان المتوفى عام ١٩٧٣ أن لأحمد رضا أكثر من ألف كتاب[٤١].

هذه أقوال متقاربة وحسبنا القول إنه كان غزير الإنتاج إلى أبعد حد ، وأنه أخرج كتبا فى خمسة وخمسين علما وفنا ، عين أسماءها بنفسه ، وتلك عبقرية نادرة لا مجال للريب فيها .

ويذكر أنه تعلم بنفسه من العلوم والفنون تسعة ، وتلك قدرة لا تتأتى لأحد إلا فى الندرة . وذكر أحمد رضا عدد ما درس من علوم وألف فيها لا مباهيا ، بل محدثا بنعمة ربه عليه ، فقال : «وحاشا لله ما قلته فخرا وتمدحا بل تحدثا بنعمة الكريم» وهذا منه هو التواضع الحق ، فإن سعة العلم تدفع صاحبها إلى التواضع . إنه ليس متواضعا وحسب ، بل هو مؤمن بنعم الله عليه ، شاكر له على لطفه به ورعايته له .

وإذا أرخينا نظرة إلى عناوين مؤلفاته أدركنا فى التو أن صاحبها علم من أعلام الدين

(٤٠) محمد ظفر الدين بهارى ، حيات أعلى حضرت ، ص٣٣ .

(٤١) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص٣٦ .

وفقيه من الفقهاء المجتهدين والعلماء والأدباء الأجلاء . وهو يختار عناوين عربية مسجعة ، لمعظم مؤلفاته جريا عل عادة المؤلفين المسلمين ، ذلك أنهم فى اعتزازهم بلغة كتاب الله المبين يرون فى إطلاق الاسم العربى شرفا للكتاب ، كما أنه تقدم عن مؤلفى المسلمين خطوة ارتفع عنهم درجة فجعل هذه العناوين تدل على عام إخراجها وذلك بحساب الجمل .

أما أوسط وأشهر ما أخرج من مؤلفاته فكتاب «العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية» ، ويجمع بين دفتيه اجتهاداته الموفقة فى قديم المسائل وحديثها ، وذلك وفق المذهب الحنفى . وهذه الفتاوى فى اثنى عشرة مجلدا ضخما من القطع الكبير أما عدد صفحاتها فستة آلاف وأربعة وسبع وثمانين صفحة . وأعيد طبعها مرارا فى باكستان والهند .

وله «كنز الإيمان فى ترجمة القرآن» ، وهو ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية ، وكانت ترجمته له عام ١٩١١ ، وتعد هذه الترجمة من مآثره الخالدة على طول الزمان . وأبدى الإعجاب بها العلماء والأدباء فى شبه القارة . وأشادوا بما بذل من جهد جهيد في سبيل إتقان الترجمة كل الإتقان ، حتى أبلغها درجة الكمال ، إنها قاطعة البرهان على رسوخ قدمه فى لغة الضاد ولغته الأم ، وعلمه بمعانى كتاب الله العزيز . كما أن فيها الدليل على سعة اطلاعه على التفاسير العربية والفارسية والأردية ، وعلمه بما سبقت ترجمته إلى الأردية . ولقد طبع «كنز الإيمان فى ترجمة القرآن» طبعات فاخرة عشرات الطبعات فى باكستان والهند .

وقبل وفاته بعام واحد ، وذلك عام ١٩٢٠ ، أخرج كتابا بعنوان «المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة» . أما باعثه على إخراج هذا الكتاب أنه استفتى فى حكم الإسلام فى تضامن المسلمين مع الهندوس تحت شعار القومية . وقد استفتاه كل من مولانا محمد على وشوكت على ، فأفتي فى جزم ويقين أنه لا سبيل إلى موالاة الهندوس ، وهى حرام صراح ولو كان هذا المشرك أبا أو ابنا أو أخا أو ذا قربى ، فقال : «إن الموالاة مع المشركين - كل المشركين - حرام ، وإن كان أبا أو ابنا أو أخا أو قريبا لأحد» .

وكان لما ذكره فى كتابه هذا أعمق الأثر فى نفوس أكابر الزعماء فى شبه القارة . وقد اطلع العلامة محمد إقبال على تلك الفتى ، وأبدى كل إعجابه بها . وأفضى الأمر بالذين كانوا يميلون إلى موالاة الهندوس إلى الإحجام عن ذلك ، واقتنعوا بفتوى أحمد رضا ، وتابعهم على ذلك زعماء الرابطة الإسلامية ، وفي طليعتهم محمد إقبال ، فنادوا بوجوب

إقامة دولة خاصة بالمسلمين فى شبه القارة . وعليه فهذا الكتاب كان الأساس الذى قامت عليه دولة باكستان .

وأحمد رضا على ما عهدناه فيه ، فقيه إمام بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ، إنه يدعو إلى هدى مغترفا مما وعاه من علوم الشرع وأصول الدين ، إنه صاحب ألف كتاب ، وهذه الكتب كلها أو جلها في الفقه ، لقد عقد أكيد العزم على أن يبصر المسلمين فى أرجاء الأرض بدينهم على الصواب ، والصحة ، فماز بين الصحيح وغير الصحيح؟ وبصر بالمأمورات والمنهيات ، وفرق بين المحرمات والمكروهات ، إنه ذلك الإمام الذى تصدر للفتيا . ولقد مر بنا كيف أن فتاويه اجتذبت إليه من ضربوا أكباد الإبل من كل فج وصوب ، كيما يجلسوا منه مجلس المريد من الشيخ ويسمعوا ما يصلح لهم دنياهم بدينهم . وهذا كله من شأنه ما لا إلف لنا به عند من سواه على قدر ما نعلم . إنه ألف وصنف ، وفى عين الوقت لم يشأ لعلمه أن يحبس بين دفتى كتاب وكفى ، بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد ، فأصدر فتوى على نحو مطلق ونطاق أوسع .

إنه كداعية إسلامى صاحب نزعة إصلاحية يرى نفسه فى ضرورة أن يأخذ بيد قومه مؤتمرا بأمر الدين من خشية أن يتردوا فى هاوية أمامهم وهم يدلجون من غفلتهم فى ليلة ليلاء . لقد ذهلوا عن أن الإنجليز المستعمرين يسيرون فيهم سيرة الذئب فى الحمل لا يستجيرون عن ظلم ، ولا ينتهون عن عدوان . وكره لقومه من المسلمين ما ضربوهم عليه من خذى وذل وهوان . إنه كرجل دين مسلم يرى أن ذلك يتجافى عن الدين ولا يسع مسلما أن يخضع ويخنع لعدو دينه الذى يتخذه هزوا ، وأن يستأثر بخيرات أرضه وهو جبار فى هذه الأرض بل يرى أنه يحرم على المسلم أن يرتضى هذا لدينه وكرامته .

إنه شاء أن يعبر عن ذلك ولكن على نحو يحبسه إطار ، كيما يكون له كيان يبقى على مدار الزمان . إنه الشاعر المجيد ، ولذلك اختار الشعر أسلوب تعبير . وغنى عن الإيضاح أن المعنى إذا كان التعبير عنه بالشعر كان أعمق أثرا فى النفس وأرسخ فى الحفظ وتردد على الألسنة ، فكان له الدوام السرمدى .

مر بنا أن أحمد رضا خان استفتى فى حكم الإسلام فى تضامن المسلمين مع الهندوس ، ومع أهل الكتاب ، وها هوذا يعبر عن ذلك شعرا ، وتلك ترجمتنا له :

ظلام بليل طويل طمس

من اللص فاحذر فكل نعس

ولص مريد وها قد برع

من العين كحلا بها قد نزع

خداعا له فاحذرن يا غرير

سيرديك فاحذر بقاع الحفير[٤٢]

لتفتح من النوم تلك العيون

عجبت عجبت أهذا يكون

وأيقظت لكن لماذا الغضب

أهذاك لوم أهذاك سب

لهذى اليراعة نور ظهر

وخفق بقلبى لهمس الشجر[٤٣]

سلكت طريقى وما من أحد

ومأموله القلب ما إن فقد

أيا قمرا فى سماء العرب

أعنى أنا فى شديد الكرب

إلهى فأنت عفو غفور

لعفوك يا رب إنى فقير

هذه أبيات ينحو فيها «رضا» منحا مستطرفا مستظرفا ، إنه يعرض عمن يريد بهم تعريضا من طرف خفى حتى لا يبدو عيابا ولا سبابا ، بل ناصحا أمينا ، يريد بالمسلمين خيرا ، وذلك وهو يبصرهم بجوهر الحقيقة ، إنه يشرح الحقيقة بالمجاز ويأبى أن يصرح بما تتأذى به النفوس من تبكيت وملام . فهو يتحدث عن نفسه وإنما يتجه بحديثه إلى غيره ، يريد لقومه من المسلمين أن يأخذوا حذرهم من أعداء دينهم قاطبة ، ويجرى على من يعادونهم من الصفات ما ينطبق عليهم بالتمام ، رجاة أن ينبه إلى ما هم فى غفلة عنه .

إنه لا يريد لأحد ينصحه أن يكره منه ما يبذل له من نصح لأنه إنما يسعى إلى أن يجد له من أهل النهى أولى الألباب من يلقون إليه سمعا ويدركون منه وعيا ، فما بسط لسانه

---

(٤٢) الغرير : من لا تجربة له . الحفير : القبر .

(٤٣) اليراعة : حشرة تظهر ليلا يصدر منها نور . يريد بهمس الشجر حفيف الورق تمسه الريح .

بالعيب فى من يعينه بالذات، بل جعل كلامه على الإطلاق، وإن كانت كل القرائن تؤكد أنه يريد الإنجليز والهندوس. وتلك براعة منه فى التفكير والتعبير.

ومما يؤيد أنه قال ما قال على سبيل الفتيا، وما للفتيا إلا علمه النافع وعقله الراجح، أنه انطلق على سجيته وهو التقى النقى مداح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فطلب منه العون وسأله أن يكشف عنه السوء، وهذا السوء ليس به فى حقيقة الحال وإنما بقومه، وقد برح الخفاء. كما أنه يرفع يده إلى الله داعيا راجيا أن يحط عنه خطاياه شأن كل مؤمن موقن صاحب عبادة، وبذلك كانت لهذه الأبيات خصيصة على حدة ولا يدرك أنها فتوى من هذا الإمام يرفع بها اللبس ويعبر عن رأى الدين.

كانت نشأة أحمد رضا فى أسرة من أكابر العلماء، علماء الأحناف ولهم أثرهم فى المجتمع الإسلامى فى أرجاء شبه القارة.

عقيدة أحمد رضا:

إنه سنى حنفى المذهب قادرى المسلك راسخ الاعتقاد، وتجلى ذلك بتمام الوضوح فى كل ما أخرج من كتاب وديوان.

واهتم معاصروه بدراسة عقيدته والكتابة عنها في تحليل وتعليق واجتمعت كلمتهم علي صحة تلك العقيدة، وهو القائل في ذلك وبعربيته الرصينة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الله أحد، لا معبود إلا هو، محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسوله الصادق، آمنت به. ودينى هو دين الإسلام، وكل معبود سوى الله تعالى باطل، لا عبادة لغير الله، المحيى هو الله، الواحد والمميت هو الله الأحد، والممطر هو الله الفرد، والرزاق هو الله الأحد، الإسلام هو الدين الحق، والأديان كلها غير الإسلام باطلة».

إنه مؤمن موقن يعبر عن إيمانه بلغة القرآن معتزا بكتابه الهادى إلى مستقيم الصراط، ولقد عرفناه متوسلا بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ محبا له، ولعل فى ذلك أدل الدليل على تقواه وعلى أنه صاحب عقيدة وعبادة. كما توسل بآل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام، وبالأولياء رضى الله عنهم أجمعين، وتلك غاية الغايات في تقوى الله ومحبة مصطفاه.

ولقد جلس منه مجلس التلميذ من أصبحوا من بعد من أقطاب العلماء، فانتشروا فى البلاد من أقصاها إلي أقصاها، وأقاموا المدارس والمعاهد الدينية فى مسعى إلى نهضة الإسلام وازدهار الدين الحنيف فى أكناف الأرض، وقد وفقوا فى ذلك أيما توفيق. ولو

شئنا أن نحصى عددهم لما تحقق لنا ذلك لكثرتهم، لكن ما لا يذكر جله لا يترك كله، فمنهم على سبيل المثال:

الإمام حامد رضا خان، والإمام مصطفى رضا خان، والشيخ محمد ظفر الدين البهارى، والشيخ السيد محمد ديدار على الورى، والشيخ محمد أمجد على الأعظمى، والشيخ نعيم الدين المراد آبادى. ولكل من هؤلاء حسن بلاء ورفعة قدر.

ارتحل أحمد رضا إلى أرض الحجاز مرتين، الأولى فى عام ١٨٧٨، والأخرى فى عام ١٩٠٥، ففى السفرة الأولى: خرج حاجا مع أبيه، وهو فى الثانية والعشرين من عمره، وقد بلغ به الشوق مداه إلى زيارة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى طريقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حن حنينه إلى زيارة روضة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم، فما صبر أن نظم بالأردية قصيدة فى مدح الرسول مطلعها:

حجــاج بيت الله هيا شاهــدوا

هى كعبة أخرى حماها فاقصدوا

ولما قضى مناسك الحج وصل أسبابه بأسباب علماء الحرمين الشريفين، وحرص كل الحرص على أن يتتلمذ لهم. وأن يحصل منهم على الإجازة فى علوم الشرع الحنيف. ومن هؤلاء العلماء الإمام السيد أحمد بن زينى دحلان، الشافعى المالكى، الذى أعجب الإعجاب كله بذلك الفتى التقى النقى وهو فى ريق شبابه، فما كان منه إلا أن منحه الإجازة فى الحديث الشريف. ولقد ذكره أحمد رضا من بعد بكل جميل يقر بفضله عليه. وتتلمذ كذلك على يد الإمام الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله السراج المكى مفتى الحنفية، ورئيس العلماء بمكة المكرمة، وتتلمذ على يد الإمام الشيخ السيد حسين بن صالح جمل الليل المكى.

وفى هذا ساطع البرهان على شدة حرصه على أن يتتلمذ لأكابر علماء العرب، وليس بخاف ما كان لهذا من أثر فى حياته الروحية والعلمية جميعا.

وأثناء مقامه بمكة المكرمة توفر على شرح كتاب بالعربية فى الفقه، عنوانه «النيرة الوضيئة فى شرح الجوهرة المضيئة» وذلك دليل على سعة علمه بالعربية وشوقه الدافق إلى التأليف.

ولما عقد أخوه الأصغر محمد حسن رضا وابنه حامد رضا العزم على حج البيت عاده شوق إلى أداء فريضة الحج ثانية، فاستأذن أمه فى الخروج إلى الحج، مما يدل على أنه كان

ابنا بارا بأمه بكل ما تتسع له كلمة البر من معنى، مع أنه كان آنئذ فى الثانية والخمسين من عمره، وخرج حاجا عام ١٩٠٥، وأمضى فى أرض الحجاز ثلاثة أشهر، وقد سبقته إلى أرض الحجاز شهرته بالتقوى والعلم، وانتظر علماء الحجاز مقدمه رغبة منهم فى التبرك به والإفادة من دينه وعلمه. ولقى أثناء مقامه هناك عددا كبيرا من جلة علماء الحجاز وعلماء الشام والمغرب، وغيرهم. وبذلك تأتى له أن يجتمع بأكابر العلماء والفقهاء من شتى بلاد المسلمين، ويقول فى ذلك شجاعة على القادرى ما نصه: «فى هذه الرحلة نشر الشيخ من الكرامة والرفعة والعظمة إلى حد لم يوفق إلى مثله أحد من معاصريه، فقد أجله ووقره علماء مكة والمدينة وأشادوا ببراعته فى شتى العلوم والفنون، وأعجبوا بزهده وتقواه وعدوا أنفسهم من زمرة تلاميذه وأيدوا أفكاره وتصدوا بالرد على مخالفيه فى رأيه».

وأثناء هذه السفرة نظم قصيدة فى المديح النبوى، ولا غرو، فهذا بسبب وجوده فى أرض النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد عبر فيها عن شوقه وتوقه إلى زيارة الحرم الشريف.

كما قيل إنه رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المنام وهو فى المدينة المنورة، ومعلوم أن هذا من الله فضل عظيم، فلا يرى الرسول فى المنام إلا صاحب إيمان راسخ وحظ عظيم.

إنه نشأ فى طاعة الله ولما وجد نفسه فيما يطيب به نفسا ويقر عينا، ويحقق أملا عزيزا عليه أثر عليه، ففاضت نفسه بهذا الشعر الذى كان صورة صادقة ناطقة بما يموج بين جوانحه.

وفى مكة المكرمة والمدينة المنورة تلبس ثلاثة أشهر حيث طاب له المقام فى ذلك الجو الروحى الحالم الذى يسعد فيه كل مسلم موقن.

وقد لفت إليه هذا من شأنه ابنه حامد رضا خان، وكان راسخ القلم فى العربية فذكر ما نصه(٤٤):

«كنت متشبثا بأهدابه وأذياله، فرأيت ما خصه الله به من إكرام وأسبغ عليه من العطايا العظام. وأسبل عليه من الأنعام ببلده الحرام وبلد حبيبه سيد الآنام - عليه أفضل الصلاة والسلام مدى الليالى والأيام - فبجله أهاليهما ووقروه وكرموه وعلى أعدائه نصروه،

(٤٤) الإمام أحمد رضا خان والعالم العربى ص٦٩، ٧٠.

وقهروا المفسدين المارقين من الدين وهتكوا خيام خبثهم المهين، فباءوا بغضب من الله وأصبحوا خاسرين، وساء صباح المنذرين. وقابله العلماء الكرماء والأتقياء العظماء بكمال الإعزاز ونهاية الاحترام. وشهدوا له أنه السيد الفرد الإمام، بل قبلوا أياديه والأقدام، واستمعوا منه الحديث المسلسل بالأولية. واستجازوا منه بالصحاح والسنن والمسانيد والمصافحات الأربع المروية، حتى بايعوا على يده وانسلكوا فى السلسلة العلية، القادرية الرضوية وكان ذلك كله دقة وجلة بالإصرار فوق الإصرار من صناديد لعلماء وكبار الكبار».

وهذا من قول ولده عنه دائم الدليل على أن أحمد رضا خان حين خرج للحج ثانية كان قد بلغ أوج شهرته كفقيه غزير المعرفة وعالم من علماء الإسلام الذين ذاع لهم الصيت فى الآفاق، ولقد أثبت ذلك بالبرهان القاطع، فلما عاشر العلماء فى مكة والمدينة، وأخذ بأطراف الأحاديث معهم، عرفوا فضله وأدركوا سعة علمه مما زين لهم أن يجلسوا منه مجلس المريد المتلقى من شيخه الواعظ الحكيم العليم، ويضيف ابنه قوله فى هذا الصدد(٤٥):

«حضرة المولى الحاج الشيخ أحمد رضا خان - أفاض الله علينا من شآبيب فيضه الموار ما ترنم به الهزار فوق الأزهار - فإنه أتم الله نوره وأدام جوده، لما من عليه الحبيب القريب المجاب المجيب - صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى آله وصحبه - وشرف وكرم بالحج مرة أخرى أحسن من الأولى، أمطر عليه أمطار الكرم وأدام عليه ديم النعم فقربه به تقربا. ولا وحق الحق لم يطلب والدى شهرة فى الخلق. ولم يبلغ طريقا إلى تلك المسالك ولم يلق بالا إلى تسبب فى ذلك، ولكن أراد المصطفى ومراد المصطفى لا يرى تخلفا فإن مراده مراد الله.. فمع حب والدى للعزلة، وضع الله له فى أرضه القبول. فكأنما نودى فى مكة يا أهل الصفا، اهرعوا فقد جاء عبد المصطفى. فرأينا العلماء إليه مهرعين، وأكابر العظماء إلى إعظامه مسرعين فمنهم من يقتبس من أنوار علمه، ومن يلتمس البركة فى لقاء محياه. وهذا جاء فسأل واستفتى، وهذا جليل يعرض عليه ما كان أفتى. حتى إن الجلة الجليلة الممتازة طلبوا منه بركة الإجازة. ودخل كبار فى بيعة الطريقة. وقام مخدومو الكرام بخدمته الأنيقة، حتى إن شيخا جليلا إماما مطاعا مهابا كبير الشأن عظيم المكان من أجلة

(٤٥) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص ٧٠.

علماء البلد الحرام المشار إليه بالأصابع بين الكرام، سمعناه يقول له فى محاورته لما هوى أبى ليلمس ركبته: «بل أنا أقبل أرجلكم ونعالكم، أكثر الله فى الأمة من أمثالكم» فرأينا بحمد الله رأى العين ما أخبر عن نبيه رب المشرقين إذ يقول: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

ولا إخال إلا أننا كنا على الصواب الأصوب حين أوردنا ما قاله ابنه عنه واصفا إياه فى حجته الثانية، لقد كتب عنه بعبارة عربية جيدة مسجعة فكان ذلك أشبه شئ بقصيدة يتغنى فيها بمدحه وبالإشارة إلى فضله وهذا ما يجدرَ به المقام.

وليس بخاف أن ما ذكره هو غاية الغايات فى التنبيه إلى رفعة قدره وعلو منزلته عند علماء الإسلام.

وبالذكر حقيق أنه أثناء مقامه فى مكة قدم عليه من علماء مكة ومن علماء المغرب على حد سواء لطلب الإجازة منه والجلوس منه مجلس المريد. وهذا ولا شك يزيد في شهرته اتساعا، وله فى الآفاق تقريرا.

ثم ارتحل إلى المدينة المنورة لزيارة الحرم النبوى الشريف، حرم حبيبه المصطفى الذى يا طالما نظم المدائح فيه. وهناك استقبله العلماء بكل حفاوة، ومنهم محمد كريم الله الفنجابى مجاور الحرم المدنى، وقال له فى التو إنه مقيم بالمدينة المنورة منذ سنين ويقدم إليها من شبه القارة ألوف فيهم من العلماء وأهل التقوى والعبادة ما لا يدخلون تحت حصر، وهم يطوفون فى طرق المدينة لا يلتفت إليهم ولا يعرفهم من أحد على حين رأى العلماء والعظماء يهرعون إلى لقائه. وقد منحهم إجازته باللسان، ذلك لأنه كان فى شغل شاغل عنهم بالرسول - عليه الصلاة وأزكى السلام - وهذا ساطع البرهان على فرط تعلقه بمحبة خير البرية.

وفى سفرته تلك الثانية إلى أرض الحجاز، رغب إليه العلماء أن يحقق مسألة علم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بالغيب، فنزل على رغبتهم ووعدهم وعدا صادقا أنه سينجز ذلك فى أيام ثلاثة، وباللغة العربية. وكان ذلك فى أربع بقين من ذى الحجة عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وعشرين، ثم أخرج كتابا أسماه «الدولة المكية بالمادة الغيبية» وهذا العنوان يستخرج منه تاريخ إخراجه بحساب الجمل. ولقد جرت عادة الشيخ محمد أحمد رضا خان بذلك فى عناوين كتبه. مما يجعل لتلك الكتب منزلتها فى تاريخ يحددها لأجيال من بعد.

وقد صرح علماء الحرمين الشريفين باقتناعهم بما جاء فى كتابه وتقبلهم له بقبول حسن قاطعين الشك باليقين، ويعد هذا الكتاب أول كتاب فى موضوعه فيه ما فيه من أدلة النقل والعقل فقرظه علماء الحرمين. بل إن مجلة تصدر فى سوريا تسمى البيان وهى مجلة علمية أشادت بقيمة هذا الكتاب، وكان ذلك فى عدد صدر عام ١٩١٤.

أما أثناء مقامه فى مكة فأخرج كتابا تحت عنوان «كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم». وكانت له سيرورة فى الأوساط الفقهية فى الحرمين الشريفين. أما موضوعه فهو الإجابة على جواز استخدام الأوراق النقدية، ذلك أن العلماء تضاربت أقوالهم واختلفت آراؤهم فى جواز ذلك فحسم الخلاف فى اثنى عشر مسألة. وطبع الكتابان السالف ذكرهما مرارا فى باكستان والهند. ونقل حامد رضا خان ابن الشيخ، كتابه الثانى إلى اللغة الأردية ليفيد منه من لا علم لهم بالعربية على النطاق الأوسع.

أما تلاميذه فى مكة والمدينة، فعددهم يربو على ثلاثين منهم مفتى الشافعية بمكة المكرمة والمدينة المنورة ومفتى المالكية، ومفتى الحنفية فى المدينة المنورة.

وهنا مجال الإشارة إلى رأى العلماء والفقهاء العرب الذين عايشوه وعاشروه.

يقول الشيخ تاج الدين الياس مفتى السادة الحنفية ما نصه[٤٦]: «لقد اطلعت على ما حرره العالم النحرير، والدراكة الشهير، جناب المولى الفاضل الشيخ أحمد رضا خان، من علماء أهل الهند، أجزل الله مثوبته، وأحسن عاقبته، فى الرد على الطوائف المارقة من الدين، والفرق الضالة من الزنادقة الملحدين، وما أفتى به فى حقهم فى كتابه، وهو تحت عنوان: «المعتمد المستند»، فوجدته فريدا فى بابه، ومجيدا فى صوابه، فجزاه الله عن نبيه ودينه والمسلمين خير الجزاء، وبارك فى حياته حتى يزيح به شبه أهل الضلالة الأشقياء، وأكثر فى الأمة المحمدية أمثاله وأشباهه وأشكاله.. آمين».

وهنا نقع على جديد متعلق بالشيخ محمد أحمد رضا خان، فهو يتصدى للرد على أهل الضلالة فيحق الحق ويدفع الشبهات ويرد كيدهم فى نحرهم مستمدا من علمه الواسع بأصول الدين وحقائق أصوله، إنه بذلك يعد داعية إسلامية بالمعني الحق لأنه يصحح العقائد لأهل الزيغ، ويكشف عن دين الله جهلهم بحقيقته ويدفع عنه سوء ما ينسبون إليه ويمحق مفترياتهم.

(٤٦) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص٩٤.

وكان هذا صنيع الشيخ محمد أحمد رضا خان فى شبه القارة الهندية، فكان يدعو المتشككين وأهل البدع إلى المناظرة فيلزمهم الحجة ويسلك بهم مستقيم الصراط كما يهديهم من ضلالة ويعلمهم من جهالة. ولقد أوجس بعضهم خيفة من مناظرته، وهم على يقين من أنه سوف يجيب عليهم بأجوبة مسكتة، ويلزمهم جادة الصواب. وغير شك أن تلك محمدة له ومنقبة تضاف إلى ما له من مناقب ومحامد، إنه لم يحصر جهوده بين دفتى كتب وكفى، بل تجاوز ذلك إلى أن يجهر بالحق وينشر العلم فى دأب مرموق.

ويؤيد هذا مما نذهب إليه قول الشيخ السيد أحمد البرزنجى مفتى السادة الشافعية بالمدينة المنورة: «يقول المحتاج إلى عفو ربه المنجى السيد أحمد بن السيد إسماعيل الحسن البرزنجى ـ مفتى السادة الشافعية ـ فى مدينة خير البرية ـ عليه أفضل الصلاة والتحية، إنى قد وقفت أيها العلامة النحرير والعلم الشهير، ذو التحقيق والنحرير، والتدقيق والتحبير.. عالم أهل السنة والجماعة جناب الشيخ أحمد رضا خان البريلوى أدام الله توفيقه وارتقاءه، على خلاصة من كتابك المسمى بالمعتمد المستند، فوجدتها على أكمل الدرجات من حيث الإتقان والمنتقد، وقد أزلت بها الأذى عن طريق المسلمين، ونصحت فيها لله ورسوله ولأئمة الدين، وأثبت فيها ـ ببراهين ـ الحق الصحيحة».

والإشارة هنا إلى أن علماء العرب اعترفوا بمنزلة الشيخ محمد أحمد رضا خان على أنه إمام أهل السنة.

أما علماء الأزهر الشريف، فبدأت التفاتتهم إليه وعلاقتهم به من حين اطلعوا على بعض ما جرى به قلمه بالعربية فى مؤلفاته، منها كتاب «الدولة المكية بالمادة الغيبية»، وبين يدينا لهم أربع تقاريظ لكتابه هذا، وهى لعالمين مصريين وآخرين عالمين من أهل الشام درسوا فى الأزهر الشريف.

أما أولهم فهو الشيخ إبراهيم عبد المعطى السقا، وهو مدرس بالأزهر، وحفيد العلامة السقا، فقال: هذه رسالة جليلة المقدار، عالية المنار، جزى الله مؤلفها عن الدين الحق، والمشرب الصحيح خير الجزاء. ونفع بها كل من تلقاها بالقبول، وجعل مؤلفها على الدوام سيفا مسلولا فى رقاب أعداء الدين»[٤٧].

إن هذا العالم إنما شاء أن يبدى رأيه فى كتاب الشيخ محمد أحمد رضا خان الذى

(٤٧) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص١٢٠، ١٢١.

أعجبه، إلى حد أن صرح بأن الشيخ رد كيد أعداء الدين. وبذلك يتفق رأى عالم أزهرى، مع رأى عالم هندي ولا عجب، فإن الدين الحنيف حقيق بأن يجمع المسلين على رأى واحد. كما أن فى هذا ما يستدل منه على أن عقيدة الشيخ محمد أحمد رضا خان كانت عقيدة الأزهر، ومعلوم أن الأزهر كان ومازال منارة لدين الله الحنيف.

أما الثانى فهو الشيخ عبد الرحمن أحمد خلف المصرى المدرس بالأزهر: قال: «لما من الله علينا بزيارة قبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وذلك فى رمضان المعظم سنة ١٣٢٩، أطلعنى بعض أفاضل المدينة المنورة على هذه الرسالة المحررة المسماة «بالدولة المكية» لمؤلفها الفاضل أحمد أفندى رضا. جزاه الله أحسن الجزاء. ولعمرى لقد جمع فيها من الأدلة ما به الكفاية. أيد الله علماء السنة والجماعة وخذل أهل البدع والضلالة»[٤٨].

وهذا تقدير للشيخ محمد أحمد رضا خان فى تفكيره وتدبيره، وقدرته على إحقاق الحق، وصرف العقول عن الشبهات.

والثالث فهو للشيخ موسى على الشامي الأزهرى الأحمدى الدرديرى الذى كتب عن الشيخ ومؤلفاته كتابة مستفيضة، وذلك فى عام ١٣٣٠، ويعنينا مما كتب ما ذكر عن كتاب «الدولة المكية بالمادة الغيبية» فهو القائل: «اطلعت على هذه الرسالة المسماة «بالدولة المكية بالمادة الغيبية» فوجدتها شفاء ودواء لقلوب أهل الحق والسنة والجماعة. حاسمة لرقاب قرن الشيطان ذى الغواية والضلالة فجزى الله مؤلفها عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ومنحه فى الدارين إمداد سيد الأنبياء، لأنه قام بنصر معجزة اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيوب التى فاض بها الكتاب العزيز وصحاح الكبار حتى صارت كالشمس فى رائعة النهار. إمام الأئمة المجدد لهذه الأمة أمر دينها، المؤيد لنور قلوبها ويقينها الشيخ أحمد رضا خان بلغه الله فى الدارين القبول والرضوان[٤٩]».

فهذا الشيخ الأزهرى من أهل الشام موصول الصلة بتلك الرسالة والتى أعجب بها أنه فى بلد نازح إلا أن شهرة محمد أحمد رضا خان بلغت بلده كما أن كتابه كان ريحانة أهل لا إله إلا الله، إنه يجعل له منزلة المجددين لدين الله الحنيف فى عقول وقلوب أهل لا إله إلا الله، من العرب والعجم على سواء.

(٤٨) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص١٢٢.
(٤٩) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص١٢٤.

أما رابعهم فهو الشيخ محمد الدمشقى مولدا الفلسطينى مسكنا والأزهرى. فقد كتب عام ١٣٣٢ يقول[٥٠]: «سرحت الطرف فى هذا السفر الموسوم «بالدولة المكية بالمادة الغيبية» فإذا به الحق حقا والباطل زهوقا، وروضة فضل نطقت بيننا بالحق، جانيا جناه المستطاب، مشتملا مع صغر حجمه على ما لم يشتمل عليه أكبر كتاب. سلس العبارة مع وجازة الألفاظ. وناظم عقده، مرشد السالكين، العالم الفاظل الشيخ أحمد رضا خان الهندى البريلوى أسكنه الله الجنة بفضله وكرمه.. آمين».

ونستنبط من قول هذا الشيخ أن الكتاب لطيف الحجم ولطافة الحجم دليل على أن مؤلفه إنما أراد الإفادة والإفهام، ورأى أن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا، كما أنه توخى عدم الإطالة حتى لا يضل الفهم فى متاهات. أما ولذلك قال عنه: إنه جمع من الفوائد ما لم تتسع له كتبا عنى أصحابها بالإطالة التى ربما تبعث على الملالة، وأراد لكلامه أن يكون واضحا لا يستغلق. وتلك صفة من يريد أن يفيد بعلمه ويؤيد رأيه ويدعو إلى ما ينبغى أن يقتنع به متلقيه.

إن القليل أمارة على الكثير فلنا أن نستدل من ذلك أن الشيخ محمد أحمد رضا خان كان حريصا كل الحرص على أن يلفت العقول إلى ما هو الحق والصواب، إنه ليس مؤلفا ليس إلا، بل مؤلف وصاحب دعوة وحامل أمانة.

وأقدم ما نظم بالعربية فى مدحه قصيدة طويلة فى ستة وخمسين بيتا نظمها الشيخ محمد على، المدرس بالمسجد الحرام، وابن الشيخ حسين المالكى مفتى المالكية، وتلك القصيدة ضمن تقريظ على كتاب تحت عنوان «حسام الحرمين على منحر الكفر والمين» للشيخ محمد أحمد رضا خان، وهذه أبيات منها[٥١]:

ذا خبرة مولى المعارف والهدى
رب البلاغة من به الدنيا زهت
ذا عفة ذا حرمة عند الملا
ذا فطنة منها العلوم تفجرت
أبدى معانى المشكلات بيانه
ببديع منطقه الجواهر نظمت

(٥٠) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص١٢٥، ١٢٦.

(٥١) المرجع السابق، ص١٠١, ١٠٢.

محيى علوم الدين أحمد سيرة
عدل رضا فى كل نازلة عرت
مولى الفضائل أحمد المدعو رضا
خان البريلوى من به الخلق اهتدت
قالا وأنعم بالمحكم ذى التقى
فعلى تقدمه البرية أجمعت
أملى العلوم فهل سمعت بمثله
أملى وذا آياته قد شوهدت

فهذا شعره لمن عاصره وهو يتضمن إشارته إلى فضله من حيث كونه من علماء الإسلام الذين استفاضت لهم الشهرة وأقر له أهل العلم والدين فى بلاد الإسلام بسعة العلم والرغبة فى نصرة الدين.

ولأحمد رضا خان محمدة أخرى هى أنه عقد الصلة الوثقى بينه وبين علماء العرب، وبذلك أبان على أن المسلمين قاطبة متآلفون متوادون متكاتفون فى ظل دين الله، فالإسلام كان جامعة جمعتهم وألفت بين قلوبهم.

وفى نظرة منا إلى ما جرى به قلمه من نثر وفاضت به قريحته من شعر خاصا بعلماء العرب، نلحظ أنه يبادلهم المحبة والتقدير والتوقير. والشأن كان كذلك فى موقفه من تلاميذه العرب مما ينهض دليلا على أن هذا الإمام كان بينه وبين العرب مودة ما فى ذلك من ريب. وقد استبان ذلك بتمام الوضوح فى حفاوته بهم وتقديره لهم وهو يلتقى بهم فى أرض الحجاز.

إنه كذلك كان دائم الذكر لأهل العلم فى مصر فى الزمان الخالى من أمثال جلال الدين السيوطى، كما أشار إلى الإمام البوصيرى، ولقب جلال الدين السيوطى بمجدد الأمة فى عصره، وأثنى كل الثناء على ما أخرج من كتب.

ولنا أن نورد أمثلة لأقواله فى علماء العرب الذين ممن عاصروه وعرفوه. قال[٥٢] «تفضل على المحدث الفاضل الكامل السيد النسيب الحسيب الأريب مجمع الفضائل منبع الفواضل، مولانا السيد الشيخ محمد عبد الحى ابن الشيخ الكبير السيد عبد الكبير الكتانى

(٥٢) المرجع السابق، ص١٠٥.

الحسنى الإدريسى الفاسى، محدث العرب، بل محدث العجم والعرب إن شاء الله، وأنا حل بالبلد الحرام لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين بعد الألف وثلاثمائة، فأتانى وسمع منى الحديث المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعه من هذا العبد الضعيف كما سمعته من مولاى ومرشدى وسيدى وسندى وكنزى وذخرى ليومى وغدى سيدنا الشاه آل رسول الأحمدى رضى الله عنه بالرضا السرمدى».

إنه ينزع نزعة واضحة لا خفاء فيها وهى الجمع بين المسلمين فى ظل الدين. إنه يريد لهذا المحدث المغربى أن يكون محدث العرب والعجم إن شاء الله. إنه يقر بأنه محدث العرب ولكن المأمول عنده أن يكون كذلك محدث العجم. إنه يريد للعجم والمسلمين أن تنعقد صلتهم بالعرب فى ظلال الدين، وإن كان هو إمام أهل السنة فى شبه القارة الهندية.

وقال فى السيد مأمون البرى المدنى [٥٣]: «العالم الأجل، الكامل الأبجل، مورد الفضل السنى، حضرة سيدى السيد مأمون البرى المدنى. سألتنى بحسن ظنك بل لطيف منك، إجازة الحديث وسائر مروياتى من قديم وحديث، وما أنا فى عير العلم ولا نفير الفنون، لكن الكرام حسان الظنون».

إنه يوجه الخطاب إلى أحد تلاميذه بهذا الأسلوب الذى يدل واضح الدلالة على أنه جم التواضع، وتلك شيمة العلماء والفضلاء.

وبعد أن ذكرنا ما قاله فى تلميذه، نذكر ما قاله فى أستاذه الشيخ أحمد بن زين بن دحلان من أهل مكة، فقد جلس منه مجلس التلميذ فى سفرته الأولى ونال منه الإجازة، يقول [٥٤]: «شيخ العلماء بالبلد الأمين الإمام المحدث الفقيه المولى السيد أحمد بن زين بن دحلان المكى قدس سره الملكى».

لقد وصفه بأنه شيخ العلماء بالبلد الأمين والمحدث والفقيه.

إنه يقر له بالفضل. إنه وفى له ولذكراه مقر بأنه علمه ما لم يك يعلم.

وكان الشيخ محمد أحمد رضا خان مهتما بإهداء مؤلفاته إلى علماء العرب، طالبا إليهم أن يكتبوا عنها، رغبة منه فى استطلاع رأيهم فى رده على المارقين من الدين. إنه يؤمن بضرورة مشاركة غيره له فى العلم، خصوصا من العرب. تعف نفسه عن أن يستأثر برأى لا يقع موقع القبول عند غيره من العرب.

(٥٣) المرجع السابق، ص١٠٦.
(٥٤) المرجع السابق، ص١٠٧.

ولقد مدح فى شعره العربى بعض علماء العرب، وهذا كان تعبيرا عن محبته لهم لا رغبة فى نوال عظيم من العظماء ولا مجاملة لأحد يخطب وده أو يتملقه، ولذلك يعد هذا الشعر من قبيل تجديد موقفه من العرب.

ويذكر أنه أثناء مقامه من أرض الحجاز فى حجته الثانية قال أبيات من الإخوانيات عندما امتنع الشيخ صالح كمال المكى عن زيارته فى مكة ليومين اثنين [٥٥]:

هذان يومان ما فزنا بطلعتكم
ولو قدرنا جعلنا رأسنا قدما

قالوا اللقاء خليل للعليل شفا
ألا تحبون أن تبروا لنا سقما

عودتمونا طلوع الشمس كل ضحى
وهل سمعتم كريما يقطع الكرما

هذه أبيات جياد رقاق تنطق عن صفو المحبة وكرم الصحبة والعلاقة الواشجة بين أهل العلم من العرب والعجم ولا غرو فقد قيل إن العلم رحم بين أهله، ولكن الشيخ محمد أحمد رضا خان، يتجاوز ذلك إلى قوله إنه لا يستطيع صبرا عن زيارة خليله له، بعد أن جمع الدين القويم بينهما فى تلك المودة الصافية الدافقة.

وبعد عمر امتد به خمسة وستين عاما تنبأ هذا الإمام بأن الموت مدركه فى عام عينه، ويا عجبا لنبوءته التى صدقت، وهذا من الدليل على صفاء روحه وقدرته على المكاشفة، فمن المعلوم أن كائنا من كان يعجز العجز كله عن تعيين ميقات لوفاته حتى ولو كانت وفاته وشيكة الوقوع، ولكن هذا من شأنه يلمح إلى أن له صفة قريبة الشبه بصفة الأولياء التى لا يشاركهم فيها من سواهم. بل لنا أن نقول إن هذا منه كان من الكرامات.

فى الثالث من شهر رمضان عام ١٣٣٩ للهجرة الموافق العاشر من شهر مايو عام ١٩٢١ - أى قبل وفاته بأربعة أشهر واثنين وعشرين يوما - بادر إلى استخراج عام رحيله بحساب الجمل من قوله تعالى: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾، وعلى هذا الحساب يكون عام وفاته ١٣٤٠ للهجرة.

ففى يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر صفر عام ١٣٤٠ الموافق الثامن والعشرين

(٥٥) بساتين الغفران، ١٥٩.

من شهر أكتوبر عام ١٩٢١، فاضت روحه الطاهرة، ودفن فى مدرسته بمدينة بريلى، وتحولت هذه المدرسة إلى مسجد يضم مرقده الذى يزوره اليوم من يتبركون بزيارته وهم من أرجاء العالم الإسلامى.

ولما شاع خبر وفاته هرعت حشود من العلماء والأدباء والفضلاء ورجال السياسة للسعى فى جنازته. وشوهدت الطرق من مدينة بريلى إلى الميدان الفسيح المخصص لصلاة العيدين مكتظة بالمشيعين، وفى هذا الميدان أقيمت عليه صلاة الجنازة.

كما سارعت الصحافة فى أرجاء شبه القارة الهندية إلى نشر خبر وفاته مع التعريف بمنزلته الرفيعة فى الدين والعلم ووصف وفاته بأنها تركت فراغا جد عظيم هيهات أن يملأه أحد سواه.

ومن مستطرف ما يروى أن شيخا فى فلسطين سأل عن الإمام محمد أحمد رضا خان البريلوى، من يكون، فقيل له إنه عالم من أهل الهند مقيم فى مدينة تسمى بريلى فصح منه العزم على أن يرتحل إليها، ولما قدمها جعل يسأل عن داره ليزوره فيها، فقيل له إنه لقى ربه منذ شهر، إلا أنه مضى إلى داره والتقى بأهله، وقال لهم إنه لا يريد إلا أن يخبرهم خبرا، هو أنه رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرى النائم، وكان حوله جمع من صحابته، واتفق أن سأله أحدهم من تنتظر يا رسول الله فرد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا: إنه فى انتظار محمد أحمد رضا خان البريلوى [٥٦]، وسأل أهل الشيخ محمد أحمد رضا خان، هذا القادم عليهم متى رأى هذه الرؤيا فحدد وقتها بنفس اليوم الذى مات فيه الشيخ.

وهذا خبر ورد فى أكثر من عشرين كتابا، وما من ريب فى أن هذا كله من الدليل على أنه كان صاحب كرامات وكرامات، وذلك مشهور فى شبه القارة وفى غيرها من بلاد الإسلام. وما من ريب في أنه برهان ساطع على منزلته فى بلاده وفى آفاق البلاد الإسلامية.

أما بعد أن ظهرنا على منزلته الرفيعة لدى أبناء وطنه وغيرهم من المسلمين وعرفنا آراءهم فى فقهه، وعلمه وأدبه مما يدل على تعدد الجوانب فى تراثه الذى تصدى له بالدراسة، فللسياق أن يمتد بنا إلى ضرورة التعرف إلى رأى معايشيه، ومن جاءوا بعده،

(٥٦) بدر الدين أحمد، سوانح إمام أحمد رضا، ص٣٩١: ٣٩٣، ط٧ (سكهر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

الذين قتلوا تراثه بحثا ودرسوه دراسة تفكر وتدبر، بذلك تكتمل صورته على الحقيقة فى أذهان المسلمين فى الغابر والحاضر.

ولنبدأ بالالتفات إلى رأى العلامة «محمد إقبال»، أما قوله عنه ورأيه فيه على وجه الإجمال فهو قوله [٥٧]: «إن شبه القارة الهندية من أقصاها إلى أقصاها لم يولد فيها من يشبه أحمد رضا خان فى عبقريته التى لا يجود الزمان على أحد بما يدانيها، وهذا واضح بالوضوح الأتم فى فتاويه. إنها شاهد صدق على حدة ذكائه وعمق تفكيره فى تدبر ما يبدى الرأى فيه على أنه الفقيه الحق بالمعنى الأصح الأدق، الذى تضلع من شتى علوم الدين على نحو لا نصادفه عند غيره.

إنه دأب على تعميق التفكر والتأمل قبل الإعلان عن رأيه، فهو لا يبدى رأيه من فراغ، بل على النقيض من ذلك، يلتمس إليه كل وسيلة لترجيح ذلك الرأى. وترتب على ذلك أنه عرف فى جزم ويقين أن رأيه هو الصواب الأصوب، ولذلك فإنه فى غنية عن الرجوع عما قاله فى شتى الفتاوى. ويسعنا قولنا إنه يعد أبا حنيفة فى عصره الحاضر».

وكافينا أن نقول إن الإشارة إلى رأى إقبال فيه وهو من هو فى رجاحة العقل ونفاذ البصيرة مما تغنى فيه الإشارة عن العبارة.

والنقلة بعد ذلك إلى السيد عبد الحى اللكهنوى يقول [٥٨]: «إنه كان عالما رزق التبحر فى شتى العلوم والفنون، واسع الاطلاع إلى الغاية، قلمه سيال، وفكره عميق فى التأليف.. أما علمه بالفقه الحنفى فلا نعرف له ندا يشبهه أو يقاربه فى إحاطته به. ويستدل على ذلك بالنظر إلى مجموع فتاويه، وكذلك فى كتابه: «كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم»، الذى أخرجه فى مكة المكرمة، كما أنه كان راسخ القدم فى الرياضيات وعلم الهيئة، وله إلمام بعلم الجفر والرمل».

ويذكر أن هذا العالم الذى شهد له بما شهد كان يخالفه فى مذهبه ويستبين من ذلك أنه آثر أن يقول الحقيقة، بحذافيرها، فما نطق عن الهوى، وذلك ما يلزم منه أن يكون قوله هو الحق والصدق.

وممن خالفوه فى الرأى كذلك من يسمى أشرف على التهانوى، ولكن حينما مر بسمعه

(٥٧) عابد أحمد على (دكتور)، مقالات يوم رضا، ج٣، لاهور نقلا عن شجاعة على القادرى، من هو أحمد رضا البريلوى الهندى، ص١٣٨.

(٥٨) عبد الحى اللكهنوى، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٨، حيدر آباد، ١٩٧٦، ص٤٠.

خبر وفاة أحمد رضا ترحم عليه وقال : «إنه خالفنا فى رأيه ، ولكننا لا نرى فى ذلك بأسا ولا يغض هذا الخلاف فى الرأى من أنه صاحب رأى لازم أن يعتد به ، ويميل إليه من يميل كما يميل عنه من يميل ، لأن وجهات النظر لابد أن تتباين ، وبغير هذا التباين سيصيب العلم الجمود والخمود (٥٩)» .

وقال فرمان فتحبورى ، وهو من أساتذة الأدب الأردى : «إن شبه القارة أنجبت أعاظم العلماء المتضلعين من شتى العلوم بيد أننا لا نقع فيهم على شاعر من الطراز الأول إلى كونه علامة فى العلوم الإسلامية . وقد وجدنا هذا فى أحمد رضا خان ، ولقد تبوأ منزلة رفيعة فى الشعر ، وبذا شخصية أحمد رضا خان تعد مباينة لشخصية سائر علماء شبه القارة . إنه من علماء الدين الحنيف ، غير أنه شاعر المديح النبوى الشريف ، بخاصة . وتلك منزلته فى الأدب الأردى . إن ما نظم من شعر يمتدح به خير البرية - صلى الله عليه وسلم - يقع موقعه العميق فى قلوب مسلمى الهند . وعلى ذلك إذا نظرنا فى مدائحه النبوية أيقنا أنه أعظم شاعر امتدح رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ، إن له الدرجة على جميع معاصريه من الشعراء فى هذا الفن من فنون القريض . ومما يؤيد ذلك ويؤكده أن الشاعر محسن الكاكورى ، وهو من مشاهير شعراء المديح فى عصره تأثر به ، وضرب على قالبه فى مدائحه . أما خصائص مدائح أحمد رضا النبوية فمتسمة بالوضوح . فمعانيها فى ظاهر ألفاظها ، وغرض الشاعر يدرك فى غير عسر ومشقة . وهذه ميزة جعلت شعره شعرا يتفهمه ويتذوقه المتلقون على تفاوت حظوظهم من علمهم . وحسبنا أن نشير إلى أن مدائحه تنشد فى المحافل الدينية الخاصة ، وندوات السيرة النبوية العامة . وإذا سمعها المسلمون استخفهم الطرب وبلغ مبلغه العجب ، ولسنا نعرف ولا نكاد ، مسلما فى شبه القارة ليس فى محفوظه أشعار مما فاضت بها قريحة أحمد رضا خان فى مديح سيد الأنبياء - صلى الله عليه وسلم» .

فهذا الأستاذ من أساتيذ الأدب الأردى لا شك ، يقول ما يقول على علم وبصيرة ، وقوله يظهرنا على حقيقة منزلته فى الشعر لدى من صناعته أن يتوخى شرح الحقائق على نحو يصح فى فهم من يتلقون عنه .

ويقول شاعر الأردية ماهر القادرى (٦٠) : «إن أحمد رضا مجمع العلوم الإسلامية

(٥٩) جهان رضا لمؤيد أحمد الجشتى ، ص٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٦٠) نور محمد القادرى ، أعلى حضرت كى شاعرى بر ايك نظر ، ص٢٥ ، ٢٦ ، (لاهور ، ١٤٠١هـ) .

والعربية ما فى ذلك من ريب ، إلى كونه على علم واسع بالرياضة . وكان شاعرا له أشعار جياد إلى جانب ثقافته الإسلامية الواسعة . لقد قال فى المديح النبوى ، ولكن على نحو خاص ، فما ركن إلى النظم فى هذا الفن إلى الشعر الرمزى المجازى . وفى هذا الصدد يذكر أن حسن رضا خان الأخ الأصغر لأحمد رضا خان وهو شاعر مجيد وتلميذ لشاعر الأردية الأشهر داغ الدهلوى - أستاذ العلامة محمد إقبال - هذا الشاعر قرأ ذات مرة مطلع قصيدة فى شعر أخيه على أستاذه داغ ، فأعجب بها الإعجاب كله ، كما أخذه العجب فقال : أفى الإمكان لعالم عظيم من علماء الدين أن ينظم مثل هذه القصيدة .

إن مقولة هذا الشاعر تدل على أن صنيع أحمد رضا مخالف للمتعارف المألوف ، فرجال الدين فى الأغلب الأرجح قلما نصادف فيهم ملكة شعرية ، لأنهم فى شغل عن الشعر بالنظر فى شئون الدين . وعليه فأحمد رضا خان جمع بين الحسنيين ، وذلك ما لا نصادفه إلا فيما ندر .

وقال بعضهم معبرا عن وقع شعر أحمد رضا عند العلامة محمد إقبال : «اتفق فى عام ١٩٢٥ أن جمعية سيالكوت الإسلامية أقامت حفلها السنوى تحت رئاسة «محمد إقبال» ، وأنشد منشد مدحة مما نظم أحمد رضا ، وجاء دور إقبال فى إلقاء كلمته ، فقال بيتين عفو الخاطر فى نفس البحر والرديف فى قصيدة : أحمد رضا (٦١) .

وهذا ما نستبين منه أن إقبالا لا ريب تأثر بما سمع إلى حد أن فاضت قريحته على البديهة بشعر فى شبه مما قال أحمد رضا خان .

وهنا نقف وقفة لنقول إن ما أسلفنا إيراده من آراء فى «أحمد رضا خان» منسوب إلى من عايشوه فترة من الزمن ، كما أن منهم من قال ما قال بعد مرور فترة وجيزة على مماته .

وعرف الشعراء علو قدره ورفعة ذكره ، فمنهم من قال فيه قصيدة عصماء بالعربية ، وهو محمد حسين إقبال القادرى ، وهى فى ديوانه حديث النفس (٦٢) ، وتقع فى قريب من خمسة وأربعين بيتا :

العلم أغلى من عقود جمان (٦٣)
والفقه يضعف عزة الإنسان

(٦١) نور محمد القادرى ، أعلى حضرت كى شاعرى برايك نظر ، ص٢٧ .

(٦٢) بساتين الغفران ، ٣٨-٤١ .

(٦٣) الجمان : اللؤلؤ أو كرات من فضة .

والسعى فى تحصيله من أشرف الآ

مال توصلنا إلى الرحمن

يا أيها المزجى المطية سادرا

قف بالمجدد وارث النعمان (٦٤)

واسمع لما يلقى إليك ولا تكن

مستنكفا فتعود بالحرمان (٦٥)

سلم على رمس دفين فيه بحـ

ـرٌ زاخرٌ للعلم والعرفان (٦٦)

سلم على نبع السناى أحمد رضا

ومن الغواية منقذ الإخوان (٦٧)

ولدته أم حاصن فى بلدة

تزهو به زهوا على البلدان (٦٨)

عرفت بريلى فى البلاد بأن فيـ

ـها مضجعا للعالم الربانى (٦٩)

من أجله جادت عليها مُزنة

من رحمة الجبار بالتهتان (٧٠)

هو درة فى مفرق الدنيا وتا

ج كرامة من خالص العقيان (٧١)

---

(٦٤) المزجى: من يسوق دابته. السادر: من لا يبالى. النعمان: هو الإمام أبى حنيفة النعمان، لأن رضا خان أصدر فتاويه على وفق مذهبه.

(٦٥) مستنكفا: عدل وانصرف.

(٦٦) الرمس: القبر.

(٦٧) السناء: الرفعة.

(٦٨) الحصان: بفتح الحاء، المرأة العفيفة.

(٦٩) بريلى: اسم مدينة فى الهند.

(٧٠) المزنة: السحابة. التهتان: سقوط المطر.

(٧١) العقيان: الذهب.

نجم الهدى غواص بحر حقيقة

أعداؤه لا ريب فى الخسران

ومترجم القرآن فى أردية

قد ضم فيها كل حسن بيان

بمحاسن الأدب العظيم مليئة

صفحاتها ومعارف القرآن

فى نسج قافية عديم مثله

أسنى مدائح صاحب الفرقان (٧٢)

مدح الرسول بضوء آيات الهدى

جعل المديح حدائق الغفران (٧٣)

غنى بشعر سلامه كل الأنا

م برغبة واهتز كل جنان (٧٤)

قد صنف الكتب النفيسة فى العلو

م بدت محاسنها من العنوان

لم يمتدح يوما بنى الدنيا ولم

ينظم ليأخذ نائل السلطان (٧٥)

ومزين منذ الطفولة بالحيا

ء وكان أذكى من بنى الإنسان

وغدا يفيض على الأنام علومه

فى صورة الإفتاء بالبرهان

ويعلم الإخوان درس محبة

من قبل قد تركوه بالنسيان

نصر النبى مدافعا عن عرضه

بلسانه فى السر والإعلان

---

(٧٢) أسنى: أعظم.

(٧٣) حدائق الغفران: اسم ديوانه الأردى.

(٧٤) الجنان: القلب.

(٧٥) النائل: العطاء.

ودعا إلى حب النبى وآله
أبناء إسلام بكل مكان

فتبادر العلماء نحو خِوانه
وجنوا على قدر الفهوم معانى

وردت عليه من العباد بكثرة
كتبٌ بها استفتاءهم وتهانى

يقضى لطلاب العلوم حوائجا
يملى بكل صراحة وحنان

فى الاقتصاد وفى السياسة ماهر
لبق وفى الإخوان ريب زمان

وبغير خوف ملامة أفتى بأ
ن الهند دار السلم والإيمان

كشف القناع عن الوجوه وقبحها
أصحابها لجأوا إلى الشيطان

ونسو كتاب الله واتخذوا الهنو
د وليجة ونهوا عن القربان (٧٦)

فاستنقذ الإخوان من شرك الهنو
د مبغِّضا من دولة الطغيان (٧٧)

ونهى جميع المسلمين ولاء أهـ
ل الكفر متكلا على الرحمن

فخبت مكائد حاسدى «أحمد رضا»
من بعد ما ضربوا بسوط هوان

كم من فقيه ذى العدالة صالح
أغناه ما أفتى فقيه زمان

(٧٦) القربان: المراد قربان البقر.

(٧٧) دولة الطغيان: دولة الإنجليز.

هو عارف بشريعة وطريقة
شهدت برفعة قدره الثقلان (٧٨)

سلمٌ لأهل محبة وصداقة
حربٌ لأهل الزيغ والكفران

لطفٌ بأرباب الحقيقة والتقى
قهرٌ لأهل الظلم والعدوان

فى الفقه والآداب والإحسان وال
تقوى لعمرى فائق الأقران

دانت لسؤدده جميع خلائق
هو سؤدد فى الفقه والعرفان (٧٩)

تهتز روح أبى حنيفة غبطة
بفعاله والعارف الجيلانى

أنا من مريديه الذين تشرفوا
بلقائه أعطيت ما أغنانى

فعليه رحمة ربه وسلامه
ما غرد الأطيار بالألحان

ما دام تلمع فى السماء نجومها
أو تبسم الأزهار فى البستان

هذه قصيدة عصماء، ما فى ذلك من ريب، وأن تفيض بها قريحة غير عربى تدل على كثير. إنها فى لسان عربى مبين، عبارتها جيدة، وسبكها متين، ومما تنماز به أننا لا نكاد نقع فيها على بيت يستغلق، ولا على أثر لتكلف أو تعسف أو نحت من صخر وتلك هى صفات وسمات الشعر الجيد الذى ينزل فى العقول والقلوب منزلا مكينا.

أما ما قصد إليه الشاعر من نظمها فنستبين منه أنه جديد خارج عن مجرى المألوف، نريد بذلك لنقول إنه مدح له خصيصة على حدة، فالشاعر يعلم فى جزم ويقين أن «رضا»

(٧٨) الثقلان: الإنس والجن.

(٧٩) السؤدد: الرفعة. العرفان: التصوف.

أعرف من أن يعرف، وأن فضله معلوم لا تمس فيه حاجة للتذكير به. ولذلك نحى جانبا كل أو جل ما درج الشعراء على قوله فى مدائحهم من كلام يجنحون فيه إلى التنميق والتزويق والخروج من الحقيقة إلى الخيال، ومنهم من ركن إلى أن يحاول أو يتكلف البلاغة فضاعت فى كلامه معالم الحقيقة ولم يحمل كلامه على محمل الجد، فضلا عن أن الشاعر إنما عقد أكيد عزمه على أن يعرض علينا صورة لشيخه، هذا الإمام محاطة بإطار ضيق يبرزها ويجليها للعقول والأفهام. إنها صورة ناطقة عن حق لا يحتمل من شك ولا تأويل. لقد أراد أن يؤرخ «لرضا» ووفقه الله إلى هذا التأريخ إلى أبعد مدى، وليس من تجاوز الحد فى كثير ولا قليل، قولنا إن من قام فى نفسه أن يتعرف لهذا العلم من أعلام الإسلام فى العصر الحاضر، كافيه أن يرخى نظرة إلى هذه القصيدة، ليقع على كل ما أسدى رضا إلى الدين والعلم مما يعد تراثا إسلاميا لعالم جهبذ نحرير له الفضل على ما أورثه للدين والعلم، وما يتصل بذلك من سبب.

ولنا بعد هذا الإجمال أن نأخذ فى شىء من التفصيل ونقف عند أبيات من تلك القصيدة متأملين متفكرين متدبرين، كيما ندرك ما تأتى للشاعر أن يشير إليه فى لمحة خاطفة دالة على قدر ما تتسع له قيود وحدود يلتزم بها من يعالج نظم القريض.

إنه على غير ما كان متوقعا، لم يضرب على قالب شعراء الأردية، والفارسية من استهلال قصيدته بما يسمى اصطلاحا بالتشبيب، وهو التمهيد بالقول فى الغزل، أو وصف الطبيعة وما أشبه، وإنما كان ذلك منه رغبة أكيدة صادقة فى أن يقول ما هو الحق كل الحق فيما يتعلق بأحمد رضا ويجعل من قصيدته أشبه شىء بوثيقة تاريخية تقرأ عنه على مر الأعوام.

إنه يشير أول ما يشير إلى العلم، ولا عجب، فممدوحه من أجلة العلماء ما فى ذلك من مراء. فتمهيده بذلك دليل على ما إليه قصد من ذكر له وتبصير به.

إنه يمتدح العلم وما قال إلا حقا وبين كيف أن طلب العلم عبادة، وذكر ضمنا بأن العلماء ورثة الأنبياء، وبذلك عقد الآصرة بين العلم والدين.

وجميل منه أن يتمثل من يسلك طريقا فى سفر بعيد لا يلتفت إلا إلى أن يطوى مراحله ونبهه أن يتمهل ليقف وقفة عند أحمد رضا، لأنه ذلك الذى جدد فى تفهيم الدين واختهد برأيه فكان مع النعمان خير خلف لخير سلف.

إنه يوصى هذا الذى يسلك تلك الطريقة الطويلة، ولعله متأثر بالسالك أو الصوفى

الذى يسلك طريقا تعددت مقاماته أو مراحله ليصل إلى العالم الأدنى.

إنه يريد له أن يقف على مزار شيخه خاشع القلب يطلب البركات، ويذكر ما كان له من مكرمات، وهذا من حق شيخه عليه. وجميل منه أن يشبه القبر بالبحر، مع أن البحر لا يكون فى قفر، فهو بحر معنوى لا كالبحار.

ثم يذكر صفات ممدوحه على التدريج، فيقول أول ما يقول إنه بعلمه هادٍ إلى مستقيم الصراط، لأن المسلمين أخذوا عنه دينهم وحسبه هذا ليعرج فى سماء الرفعة ويحسن الله له المثوبة.

إنه يرى أن مسقط رأسه «بريلى» بلدا يجدر بالشهرة المستفيضة لأنه يشرف منتسبا إليه.

إنه يدعو إلى بلده بالسقيا، وأن تغمره شآبيب الرحمة كرامة له.

إنه مزهو به، يصفه بكل جميل فى كلام قليل المبنى غزير المعنى. ويلمح إلى أنه ـ شأن كل عظيم ـ لا يعدم من ينفس عليه علو قدره أو من يخالفه فى رأيه.

ولا ينسى عظيم فضله فى نقله معانى كتاب الله المبين إلى اللغة الأردية، وهو بعنوان: «كنز الإيمان فى ترجمة القرآن»، لقد سبق أن ترجمت معانى القرآن الكريم إلى الأردية غير مرة، ولكن يستبين من إشارة الشاعر إلى تلك الترجمة أنها الترجمة الفضلى والمثلى، ولها درجة على ما سواها. ومعلوم أنه أحسن فى هذا أيما إحسان، ولا يخفى السبب، فلزام أن يكون واسع العلم بلغة القرآن وأحكامه من جهة، وتضلعه من العربية والأردية على حد سواء.

ويتداعى فكر الشاعر، فبذكر القرآن يذكر من نزل عليه القرآن عليه أذكى الصلاة وأتم التسليم. وهذا متوقع، فمن المعلوم أن رضا أشهر من مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فليس عجبا أن يقترن ذكره بذكر خير البرية فى هذا الصدد.

ويشير إلى ديوانه فى الأردية وهو بعنوان: «حدائق بخشش» بمعنى حدائق الغفران: وهذا الديوان من ألفه إلى يائه فى مدح الرسول وآل بيته والأولياء وبعض شيوخه الذين أخذ عنهم.

ويفضى به الكلام إلى ذكر منظومته الموسومة «بالمنظومة السلامية» على أنها أروع وأشهر ما مدح به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولها من المنزلة فى نفوس المسلمين ما ليس لها لسواها. وعليه، فنسبتها إلى شاعريته وتقواه ومحبته للنبى لا ريب فى عداد مناقبه ويلتفت إليه بعد ذلك كعالم نحرير من علماء الدين يؤلف ويضيف ويجتهد برأيه ويصحح ويبين

الحق من الباطل، مستندا إلى علمه الواسع وفقهه الذى اشتهر به فى الآفاق. ويضيف إلى ذلك أن البراعة كانت له فى اختيار عناوين كتبه، فعنوان كل كتاب دليل على ما بين دفتيه، وهذه العناوين بحساب الجمل مما يشهد بأنه أراد لها تأريخا، أى تثبيتا، مما يعين على شهرتها والالتفات إلى عظيم قميتها.

وذكره بصفة العلماء الأجلاء وأعاظم الشعراء الذين تعف نفوسهم عن الوقوف على أعتاب أهل الجاه والسلطان أملا فيما يبذلون من جزيل لأنهم منصرفون عن دنياهم إلى آخراهم، وعندهم أن للدنيا عرضا زائلا إلى فناء، فهم زاهدون فيها يحقرون من يتهافت عليها.

أما فقهه الذى مكنه من أن يتصدر للفتيا، فذكره وذكر فتاويه التى عرفنا ما عرفنا من دلالتها على سعة العلم وصحة الفهم والاجتهاد الموفق الذى يرفع اللبس ويهدى من حيرة، ويثبت من تردد، والفيصل الذى يحسم النزاع بين المتنازعين، ويرد إلى المحبة والصفاء المتخاصمين.

وهو يتمثله فى مجلس علمه الذى يتزاحم فيه أهل العلم سامعين منه آخذين عنه مستفيدين.

وفى عود إلى ذكر فتاويه نقول إن المسلمين على تفاوت حظهم من علمهم كانوا يكتبون إليه متسائلين مستنصحين وبذلك يكون علمه على المشاع بين الناس فى أرجاء الأرض، وفى هذا ما فيه من دليل على اشتهاره بتضلعه وتبحره.

ولقد أجمع علماء شبه القارة على تلقيبه بالمجدد. أى أنه جدد تفكير المسلمين فى أمور دينهم، أى بدلهم بما كان فيه سهو أو خطأ ما هو الصواب الأصوب، فكتبوا إليه يزفون إليه التهانى.

وينتقل بنا الشاعر إلى ما ربما فاتنا الانتباه إليه، وهو إحاطته بعلوم شتى وأمور أخرى كأن يقول إنه كان على علم بالاقتصاد، وله البصر بالسياسة التى تستوجب الحنكة وحدة الذكاء فى مواجهة شتى المواقف والتصدى للملابسات، والتقلبات، ومثل هذا لا يقتدر عليه إلا قلة ضئيلة ممن أخلو ذرعهم له والاشتغال به. ذلك أنهم يحملون أمانة ففى يدهم مصائر الشعوب يوجهونها الوجهة التى فيها الحكمة وفيها اجتلاب النفع واجتناب الضر.

ويرمق وطنه الهند بنظره ويختصها بفكره فيقول إنها دار السلم والإيمان بما فيها من مؤمنين متوادين متراحمين. وهو منفرد بهذا من رأيه عن آراء الغير ممن عايشوه. بيد أن رأيه

صادف هوى فى نفوس زعماء الرابطة الإسلامية، وهى حزب سياسى إسلامى تزعمه محمد على جناح وقد نادى هذا الحزب بقيام دولة خاصة بالمسلمين على أن يسعوا فى ذلك دون أن يركنوا إلى العنف. وذلك بمقتضى ما أراد أحمد رضا وأوصى به.

وبفضل أحمد رضا، حصحص الحق وزهق الباطل، ذلك أنه عارض من لزموا جانب الهندوس في حزب المؤتمر ورغبوا إلى المسلمين أن يكفوا عن ذبح البقر لأن الهندوس يقدسون البقر.

إن رأيه ومعارضته لذلك جرأة فى الحق لأنه واجههم فى معتقد دينى هم به معتزون، وعليه يثبتون، وكره للمسلمين أن يشتركوا مع الهنود وينضموا إلى جانبهم في تعاون معهم. وفى الوقت عينه أعلن عدم التعاون مع الإنجليز وكرهه كل الكراهة. وهو فى إعلان رأيه متكل على ربه معتصم بدينه لا يرهب بطش أولى القوة وأصحاب السلطان.

وبناء على ذلك كله رد السهام إلى النحور، وجعل كيد معانديه فى تضليل ونصره الله نصرا مبينا.

وعرج من بعد على الإشادة بعلو كعبه فى الأدب وسعة باعه فى علوم الدين، ورفعة منزلته فى التقوى. وفى ذلك كله برز على من سواه غير منازع.

إنه من بعد يلمح إلى أنه مشبه فى شأنه شأن الإمام أبى حنيفة، والإمام الجيلانى، وهما من هما.

ثم يحدثنا الشاعر نفسه فيقول إنه تتلمذ له فى كتبه وأصبح من مريديه المقربين بفضله المستفيدين من علمه الذين قدروه ووقروه.

وهو يختتم قصيدته بمسك الختام لأنه استعار من قوله:

صلى عليك الله يا ملك الورى
ما غرد القمرى فى الأفنان

صلى عليك الله يا فرد العلى
ما أطرب الورقاء بالألحان

فقال محمد حسين إقبال القادرى:

فعليه رحمة ربه وسلامه
ما غرد الأطيار بالألحان

مادام تلمع فى السماء نجومها

أو تبسم الأزهار فى البستان

ومقتضى السياق من بعد أن نولى وجهنا قبل قصيدة أخرى تدور فى فلكها متضمنة مضمونها لأنها صنوها. إنها لمولانا فاروق أحمد، نظمها بالعربية، والنظم بالعربية إذا كان منسوبا إلى غير عربى دل على فرط الاهتمام بوضع قصيدته فى مكانة عالية، لأنها بلغة كتاب الله المبين، مما يضفى عليها طابعا على حدة ويهبها خصيصة تجعلها فى نظر غير العرب من أطاييب الكلام، يقول:

ألم تر أن سكان البلاد

وأقوام القرى حتى البوادى

وأن معول أهل العلم طرا

وأصحاب العدالة والسداد

لقد شهدوا بأن الشيخ أحمد

رضا فى العلم للأقوام هادى

إمام أقوام العلماء قيلا

وأحسنهم بيانا للمراد

وأرجحهم على الحق دليلا

وأسبقهم إلى دفع الفساد

وأعلاهم مراتب فى العلوم

وأنفعهم مقالا للعباد

بليغ أفصح الفصحاء قولا

وأعلمهم بالمقاصد والمبادى

مآثره تحير سامعيه

له ذكرٌ يشاع بكل نادى

له قول لمن قد صح دينا

وشدد حين قصد للأعادى

أعادى الدين إذا راموا فسادا

وأبدوا للرسول من العناد

فقام يذب عن عرض الرسول

فأضحى مثل أبطال شداد

فأصبح هاديا يهدى الحيارى

لحب محمد هادى العباد

توفى رحمة الله عليه

له قدر ولكن فى ازدياد

أعد لزاده حب النبى

فراح إلى الجنان بخير زاد [(٨٠)]

إن الشاعر يشير إلى بصر الشيخ بالدين وقدرته على أن يفتى من يستفتيه، لقد جلاه عالم دين فى المقام الأول، وتلك هى أبرز صفاته وأخص سماته. وهذا ما جعل له الصيت البعيد فأفاد من علمه القاصى والدانى فى أرض الإسلام. إنه يجعل له الدرجة على سائر أهل العلم ويقول إنه يتقدمهم بخطى سراع. إنه في نظره مقتدر على الحسم بين الحق والباطل، وهذا ما جعله ذلك المفتى الذى يهدى من الخطأ أو الضلال، أو يشكل عليه أمر الحرام والحلال، كل من استنصحه متسائلا مستفتيا. كما أنه يشير إلى علمه الذى وسع الكثير، فهو متضلع منه إلى أبعد مدى. أما بيانه فيعجب به على أنه بيان مشرق. وما قال إلا حقا، فقد عرفناه كتيبا فى نثره فصيحا فى شعره. كما أن له من المآثر والمناقب ما طبقت شهرته الآفاق، وقد رأينا كيف أن المؤمنين كانوا يقصدونه من البلد النازح ليسألوه سؤالا أو من كانوا يكتبون إليه الرسائل مستفسرين مستنيرين، من أرجاء العالم الإسلامى. ثم يذكرنا بأنه كيف كان يزود عن حظيرة الدين القويم إذا ما تعرض لأهل الجهالة والضلالة، كما ذاد ألسنة السوء عن خير البرية - صلى الله عليه وسلم. أما آصرته بالنبى، فلم تفت هذا الشاعر فختم بها قصيدته فى جزم ويقين.

إن هذه القصيدة تعد تتمة للقصيدة التى أسلفنا إيرادها، إلا أن القصيدة الأولى كان شاعرها أميل إلى التفصيل من قصيدة الشاعر الآخر، فهما متساندان متكاملان متفقان على كلمة واحدة هى الحق المبين عن هذا العالم الجليل من علماء الدين.

---

(٨٠) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص١٢.

ونمضى مع الزمان قدما ليدور حديثنا على من هيأ أطروحة الدكتوراه تحت عنوان المديح النبوى فى اللغة الأردية [٨١]. فاستوجب أن يدرس مدائح أحمد رضا خان فلم يفته أن يشير إلى المنظومة السلامية له. فذكر أن هذه المنظومة تنشد بتمامها أو تنشد بعض أبياتها فى المحافل الدينية أو فى المساجد بعد صلاة الجمعة، وفى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف. وتنشد بكيفية ترقق القلوب وتثير فيها هزة الطرب إلى حد للنفوس خشوع، وللعيون دموع. إن غير شاعر تصدى لمعارضة هذه المنظومة فنظم فى نفس البحر والقافية وإن غير قافيتها بعضهم، كما أن منهم من أقدم على تخميسها.

ولا نعدم فى ذلك ما يدل عل فرط اهتمام بها والنظر إليها على أنها مثال يحتذى، وهذا مما يرفع قيمتها، ويؤكد أهميتها.

وعقد فى مدينة كراتشى مؤتمر عالمى عن أحمد رضا خان فى يونيو من عام ١٩٩٨م تحت رئاسة وزير التعليم الباكستانى. ومما يجرى مجرى العادة فى باكستان أن يعقد هذا المؤتمر فى كل عام.

وفى ذلك المؤتمر ألقى الوزير غوث على شاه كلمته قائلا [٨٢]: «إن قلب أحمد رضا خان يعمر بحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم. لقد نطق عن مكنون نفسه وما تنطوى عليه جوانحه بمدائحه فى العربية والفارسية والأردية، وإن إبداعه فى هذا المديح جعل للمديح النبوى فنا قائما بنفسه فى الشعر تنطوى عليه دواوين الشعر على أنه من التقاليد الأدبية المرعية إلى يومنا هذا. وسندرج سيرته ودراسة مؤلفاته فى مناهج الدراسة فى معاهد التعليم».

ومما قيل فى المؤتمر منسوبا إلى عالم الذرة الشهير قدير خان قوله [٨٣]:

«إن أحمد رضا خان يصدقنا التعبير عن حبه للنبى عليه الصلاة وأذكى السلام. إلى كونه ملما بعلوم تعددت وتنوعت.

إن ما أدلى به من رأى خاص بحركة الشمس، ودورانها رأى ذو بال. ولنا أن نتكئ إلى سند من آرائه الدينية، مما يجعل من مجتمعنا فى باكستان كيانا، هو بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا».

---

(٨١) أردو مين نعت گوئى ص٤١٢.

(٨٢) إمام أحمد رضا خان، كانفرنس (٩٨).

(٨٣) إمام أحمد رضا خان كانفرنس ٩٨.

فهذا العالم من رجال العلم الذين يقيمون ما يقولون على أساس من التجاريب التى يجرونها ليستنبطوا منها الحقائق، وما ذكره عن هذا الشيخ من أهمية ما ذكر عن حركة الشمس يرشد إلى أنه كان واسع الباع فى العلوم التجريبية إلى سعة باعه فى علوم الدين، وما يتعلق منها بسبب.

ومما ذكر فى هذا المؤتمر، ويحسن ذكره فى هذا المقام ما قاله الباحث المصرى حازم محمد أحمد محفوظ [٨٤]، ومجمل قوله أن أحمد رضا خان كان ذا رغبة فى القدوم إلى مصر، وبذل فى ذلك المسعى رجاء أن يلتقى بعلماء الأزهر الشريف، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. لقد توطدت الأواصر بينه وبين علماء الأزهرمن قبل، لاطلاعهم على ما أخرج من كتب بالعربية، إن منهم من قرظ كتابه «الدولة المكية بالمادة الغيبية».

وجامعة الأزهر تعد أول جامعة عربية منحت درجة التخصص لباحث، باكستانى وهو الشيخ مشتاق شاه، الذى هيأ رسالته تحت عنوان الإمام أحمد رضا خان، وأثره فى الفقه الحنفى. وكان ذلك فى عام ١٩٩٨م. وثمة باكستانى آخر هو الشيخ ممتاز سديدى يهيء بحثا فى مادة التخصص بعنوان: الشيخ أحمد رضا خان البريلوى الهندى شاعرا عربيا. كما كتب عالم من علماء وأساتذة الأزهر، هو الدكتور رزق مرسى أبو العباس، تحت عنوان: «الإمام محمد أحمد رضا خان البريلوى، مصباح هندى بلسان عربى»، وهو بحث له مرموق من قيمته. ونشر محيى الدين الألوائى الهندى ـ وقد درس فى الأزهر الشريف ـ مقالا بعنوان: مولانا أحمد رضا خان كما نظم الأستاذ محمد محفوظ ـ نقيب المعلمين ـ قصيدة عصماء فى مدح أحمد رضا».

وما أسلفانا الإشارة إليه مما دار فى المؤتمر وما اهتم الباحثون بدراسته، والحديث عنه يقعد الإمام القمة فى الدين والعلم والشعر.

ومن بعد نجد مسيس الحاجة إلى عقد المقارنة بين «أحمد رضا» و«محمد إقبال»، من حيث كونهما علمين من أعلام الإسلام فى عصرنا الحاضر، لهما من الشهرة ما لا نجد ولا نكاد عند من سواهما، من تعدد الجوانب وتنوع المناحى ما يكادان ينفردان به.

وما لا مراء فيه، أن عقد الموازنة بين اثنين طرفين كائنين ما يكونان مما يبرز خصائص كل طرف إبرازا لا يتأتى إلا بالمقارنة، لأن الطرفين فى الأغلب الأعم بينهما تشابه وتماثل

---

(٨٤) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ١٤٥ : ١٧٧.

وتخالف واتفاق .

وليس يخفى أن تلك المقارنة ، لابد أن تخوض بنا فى حقائق وحقائق ، وتدعو إلى تفرق سجون الحديث بنا عن تيارات روحية واتجاهات فكرية وتواريخ ، وكل ما يتصل من ذلك بسبب . لذا صح فى فكرنا أن عقد تلك الموازنة حتم لزام .

ولتكن البداية بالنشأة الأولى ، فمما لا ريب فيه أن لها أثرها من بعد ، وقد يظهر هذا الأثر كما يخفى ، لكنه لابد أن يرد إليها ولو بعد دراسة تربط المسبب بالسبب وترتب النتيجة على المقدمة .

جاء فى سيرة «إقبال» ، أنه جلس مجلس التلميذ من أبيه ، وكان رجل تقوى وورع وصاحب عبادة ، وله فرط ولوع بالنظر فى العقائد والتعرف إلى شتى الأديان . علم هذا الأب ولده القرآن الكريم ، ولكن لا على نحو تقليدى ، أى مجرد أنه حفظه القرآن ، وكان هذا حسبه ، بل أوصاه أن يمعن النظر فيه فى تفكر وتدبر وحضور عقل ، وأذعن الابن لأبيه وجعل تلك الوصية نصب عينيه منذ بدايته الأولى ، وكان أن دام على ذلك طيلة العمر وتجلى ذلك بتمام الوضوح فيما أخرج من تراث .

فنحن لا نعرف داعية إسلامى بلغ مبلغ إقبال فى ترديد نظره فى آيات الذكر الحكيم ولا تكاد تخلو صفحة فى كتبه المنظومة من آية أو جزء منها يوردها «إقبال» متخذا منها حجية لا تحتمل من شك ولا تأويل ، إنه بذلك يتأتى له أن يصحح ما أراد له تصحيحا عند بعض المتصوفة ومن لم يدرسوا القرآن على ما ينبغى أن يدرس ، فإنه القائل فى رباعية له هذه ترجمتنا لها :

إلى الصوفى والملا كلامى

كلام الله قالا بالتمام

ولكن أولا ما أوّلاه

فحار الروح بل خير الأنام

إنه أراد ليقول إنه لا يميل إلى شطح وشطط غلات المتصوفة ، وكثرة تخريجاتهم وتأويلاتهم ، كما لا يقبل ممن يبحثون فى الدين أو يتحدثون عنه ولا عمق لهم فى درايته بأحكامه . إنه يقول إن هؤلاء وأولئك تحدثوا عن كتاب الله المبين إلا أنهم نظروا إلى الظاهر ولم يغوصوا على الباطن ، وأنساهم المظهر أن يشيروا إلى الجوهر . ويرى أن هذا من

صنيعهم لم يجعلهم فى مرضاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجبريل ـ عليه السلام ـ لأنهم لم يفهموا على الصحة والصواب ، وكان الأولى بهم ثم الأولى بهم أن يعمقوا الفكرة ويدققوا النظرة ، وأن يتفهموا حق التفهم .

ونلتفت إلى «أحمد رضا» الذى تتلمذ لأبيه وجده ، وكانا من أكابر علماء الدين وأعاظم الصوفية ، فتلقى عنهما كثيرا من العلوم ، وكان هذا دأبا وديدنا عند القوم فى ذلك الزمان ، وتلك البيئة ، وعادة مرعية . وحفظ «أحمد رضا» القرآن الكريم فى مكتب الحى الذى ولد فيه . وهنا نلحظ الفارق بين إقبال وأحمد رضا فإن أحمد رضا حفظ القرآن على يد شيخه فى المكتب بينما حفظه ودرسه «إقبال» على يد أبيه ، لذا لا يسعنا أن نجد أحمد رضا وإقبال متفقان فى نوعية دراستهما للقرآن فى نشأتهما الأولى ، ونزيد ذلك إيضاحا لنقول إن إقبالا حين درس القرآن على أبيه لم يكن قد عرف العربية بعد ، فدرسه مترجما إلى الأردية ، ولكن أحمد رضا درسه وحفظه وهو على علم بالعربية ، لأن أباه كانت له مدرسة لتعليم العربية ، ويملك ناصية لغة الضاد .

وهذا يفضى بنا إلى ذكر العربية بين «إقبال» وبين «أحمد رضا» . . درس «إقبال» العربية ودرسها كما شغف بها ، إل حد أنه كان يقول : «لوددت لو استطعت أن أنظم الشعر بالعربية كما أنظمه بالفارسية والأردية» . أما أحمد رضا فله ديوان كبير بالعربية وقد مربنا كيف أنه كان كتيبا نثره جيد العبارة متين السبك ، وطالما درس العربية كذلك فى موطنه وصحح أشعارا لمن حاولوا النظم بها ، وله لسان طلق فى العربية أقر بذلك من تعرف إليهم وعايشهم من علماء العرب ومن يحذقون لغة العرب فى بلاده وله مالا يحصى كثرة من كتب ورسائل باللغة العربية . وليس لإقبال شعر فى العربية ولا نثر .

وننتقل بعد ذلك إلى مرحلة التعليم التى طواها «إقبال» و«أحمد رضا» فنقول إن إقبالا لحق بمدارس الحكومة والإشراف عليها للإنجليز المستعمرين . أما «أحمد رضا» فكره له والده أن يدرس فى مدارس حكومية ، لموقفه من الإنجليز الذين يضمر لهم كراهته ونفوره منهم ، وهو فى ذلك يشبه الكثرة الكاثرة من رجال الدين فى شبه القارة . فلحق ابنه أحمد رضا بالدرس النظامى ، منهج دراسى إسلامى يطبق على جميع المدارس والجامعات الأهلية فى البلاد ، وفيه يدرس القرآن والحديث وعلوم الدين أصولها وفروعها . ومن ذلك ندرك الفرق بين نوعية دراسة «إقبال» ودراسة «أحمد رضا» ولا يفوتنا أن نشير إلى أن إقبالا تتلمذ لمستشرق إنجليزى معروف ، هو «تومس أرنولد» الذى حبب إليه أن يرتحل إلى إنجلترا

ليتم دراسته فى جامعاتها . أما «أحمد رضا» فما قام فى نفسه أن يرحل إلى أوروبا مستزيدا من العلم .

إن «إقبالا» بعدما تلقى عن أبيه تحرك فى عقله الميل إلى الفلسفة ونمى هذا الميل إلى أن أصبحت له صفة الاستعداد والملكة ، فدرس الفلسفة فى أوروبا ، ونعنى بها الفلسفة العالية ، أى فلسفة ما وراء الطبيعة ، وقدم أطروحة رسالته إلى جامعة «ميونخ الألمانية» عام ١٩٠٥ ، بعنوان : «ما وراء الطبيعة فى إيران» .

ولكن «أحمد رضا» سلك طريقا آخر هو الطريق التقليدى فاستكمل دراسته على يد رجال الدين وشيوخ التصوف .

وملحوظ أن إقبالا أثناء دراسته فى وطنه جلس إلى شيخ صوفى قادرى المذهب وتلقى عنه الطريقة القادرية ، وهو فى ذلك يتفق مع «أحمد رضا» ولكن يختلف عنه «أحمد رضا فى أنه أخذ على يد من يسمى بالشيخ الشاه آل رسول المارهروى ثلاث عشرة طريقة صوفية أخرى ، مما يرشد إلى أنه تبحر حقا فى التعرف إلى التصوف . وإن كنا نلحظ على «إقبال» أنه فى شعره يميل إلى ذكر بعض مصطلحات التصوف كالحال ، والمقام ، ولكن لا ليرشد إلى عقيدة صوفية ، وإنما ليضفى رواء وبهاء على كلامه .

إن «إقبالا» وهو داعية إسلامى له نزعة إصلاحية رغبة فى تجديد الفكر الإسلامى ، وكان أساس دعوته هو أن يكون المسلم هو من يعمر الأرض ويعمل لخيره وخير من سواه ، ولا يحيى حياة عزلة عن الدنيا ، بل لزم عليه أن يأخذ بكل الأسباب لينصرف عن السلبية التى تقعد به عن اللحاق بركب الحضارة الإسلامية التى دعا الله ورسوله إليها وحث على الكد والعمل وزجر عن التواكل والكسل . وهذا من منهج فكره أدى به إلى أن يكره لبعض غلاة الصوفية أن يدعو إلى الانصراف عن الدنيا والقعود عن السعى والضرب فى الأرض ، حتى أنه أعلن عن عدم رضاه وإعجابه بالشاعر الفارسى الأعظم الأشهر الشيرازى ، الذى يعد أعظم شعراء الفارسية غير منازع ذلك أنه كان صوفيا وتصوفه هذا عند إقبال ما يسميه بالتصوف العجمى ، أى ذلك التصوف الذى دخلت عليه تيارات غير إسلامية ، وكانت فيه الدعوة إلى رفض الدنيا وقطع العلائق بينها والتعلق بالآخرة ليس إلا .

وقد عرضه ذلك لنقد من يقرأون هذا الشاعر ، ويعدون ديوانه ريحانتهم . إن «إقبالا» لا يكره التصوف كراهية على إطلاق ، بل لا يميل إلى ما يسميه التصوف العجمى الذى أشرنا إليه من قبل ، ولذلك قل أن نجد فى كلامه وصفا أو ذكرا للخمر ، وإن كانت الخمر فى

الشعر الصوفى رمزا للعلم اللدنى ، أو المعرفة الصوفية ، فالخمر تنبثق منها تلك المعرفة كما ينبثق النور من الشمس ، ها هو ذا «إقبال» يقول ما ترجمتنا له :

أنا هندى عن الفرس غريب

وهلال ليس بى خمر تطيب

وهو بذلك يريد أن يبرأ من شطح وشطط المتصوفة فى كلامهم ، حتى ولو كان من قبيل الرمز والإيماء ، وإن لكلامهم ظاهرا لا يقصدون وباطنا ، هم إليه يقصدون .

إن «أحمد رضا» يشبه «إقبالا» فى ذلك لأنه كذلك لم يذكر الخمر فى شعره الصوفى ، وهو يتأثم من ذلك لتقواه وورعه ، وإن كان كلامه مجرد رمز يخرج عن حقيقة ما يريد الشاعر ليقول :

نحن نعرف أحمد رضا متصدرا للإفتاء ، فهو إمام فى الدين عالم بالأصول والفروع مستند إلى العقل والنقل ، وهذا شأن المفتى الحق بالمعنى الأصح الأدق . فقد عرفناه يؤلف فى هذا التأليف ذوات العدد . ولقد جمع ما ألف فى الإفتاء فاتسع لفتاويه اثنا عشر مجلدا ضخما ، وعرف بإمام الفقهاء . أما «إقبال» فقد اتفق أن كتب إليه من يستفتيه فى مسألة خلافية عويصة فكان من رده عليه قوله : «لقد أفتى فى هذه المسألة الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية ، ارجع إلى فتواه» مما يدل على أنه أراد أن يقول أنه ليس من أهل الفتوى .

كان «إقبال» شاعرا رقيقا فى صدر شبابه ، نظم بالفارسية والأردية فى كل فنون القريض حتى قال عن نفسه مزهوا بها : «لو أنه تقدم بشعره لنيل جائزة نوبل لمنحها ولابد» . إلا أنه بعد ذلك انقطع عن قول الشعر فى شتى فنونه ، منصرفه عن أوروبا حين مر بجزيرة صقلية وشاهد آثار المسلمين بها ، وساءه أن يجد لهم من ازدهار الحضارة ما لا غاية بعده ، ثم وجد ما آل إليه حالهم فى ظل المستعمرين فقطع على نفسه عهدا ألا يقول شعرا إلا فى الدعوة إلى إصلاح بالهم للأخذ بيدهم إلى ما فيه كل خيرهم .

وهنا نجد أن هذان العلمان يختلفان فى هذا . «فأحمد رضا» كان ينظم فى أول أمره الشعر ولكن فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - وهنا يبدو الفرق بين الشخصيتين بالوضوح الأتم ، وقصر شعره على مدح النبى وآل بيته ، والأولياء ، مع قدرته على أن يقول شعرا يتقلب فى كل الفنون ، ولكن النشأة الدينية له وتقواه التى بلغ فيها الغاية ، وعلوم الدين التى أوفى على الغاية فى إحاطته بها جعلته يتأثم من أن يقول شعرا إلا فى مدح النبى وآل بيته وصحابته .

إن «إقبالا» اتخذ الشعر أسلوب تعبير تأسيا بشعراء الفرس والهند، ذلك أن للشعر موقعه فى النفوس ورسوخه فى الأفهام، بل إننا لا نجد له إلا أقل القليل فى النثر وكتبه منظومة فى الفارسية والأردية .

أما «أحمد رضا» فنظم فى العربية والفارسية والأردية والهندية على حين عالج إقبال نظم القريض فى لغتين اثنتين، وشعر «إقبال» صورة واضحة المعالم لأفكاره ومبادئه ومثله التى لها الذيوع فى الآفاق، وهو مصلح دينى اجتماعى بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى، ويختلف الشاعران فى أسلوبهما . . فأحمد رضا يتوخى تمام الوضوح ولا يجنح إلى استخدام البديع إلا بمقدار، ويأبى أن يكون كلامه مستغلقا لا يحيط بشئ منه إلا الراسخون فى العلم، لأنه ينطق عن الدين، والدين حقائق ثابتة للناس كافة لا يسع كائنا من كان أن يصرفها عن وجهها .

أما «إقبال» وهو الذى اتسع له الباع فى الفلسفة، كما عرف عنه فى بدايته الأولى أنه كان شاعرا يتقلب شعره في دقائق المعانى، ويشمل شتى الفنون، فهو يميل كل الميل إلى التمثيل والتخييل والرمز والإيماء، وشعره فى كثير من مواضعه لا يضن على من ينظر فيه بالفهم حق الفهم إلا بعد كد للذهن وإعمال للروية، فهو شعر عالى الطبقة يناطق العقول قبل أن يناجي القلوب، وهو لصفوة الخواص الذين يمعنون النظر فى معانيه، ويكتنهون مراميه .

ولأحمد رضا قلم دافق جرى بنثر لا يقع تحت حصر، فهو إمام دين يشرح المسائل ويبين الأحكام، ويريد للمسلمين أن يفهموا دينهم على الصحة معتمدا فى ذلك على النقل والعقل فى وقت معا، مع إدلاء برأى يحسم الخلاف ويكشف النقاب عن وجه الصواب، ومبلغ علمنا أن لإقبال كتابين بالإنجليزية أحدهما فى الاقتصاد والثانى تجديد الفكر الدينى فى الإسلام .

ويفضى بنا هذا إلى ذكر علم رضا وإقبال بالإنجليزية، فرضا ليس يميل إلى الإنجليزية على أنها لغة الإنجليز المستعمرين «أعداء الدين»، أما إقبال فدرسها من قديم وتتلمذ للمستشرق الإنجليزى «تومس أرنولد»، وسافر إلى إنجلترا مرارا، وألف بها كما مر بنا . وفي أوروبا وصل أسبابه بأسباب العلماء والفلاسفة، فكان لزاما أن يكون على علم واسع بالإنجليزية، وكذلك بالألمانية . ودام إقبال على صلته بالإنجليزية بعد عودته من الخارج، فاشتغل فى كلية لاهور الحكومية، والكلية الشرقية، وهما كليتان يشرف عليهما الإنجليز، ومنح لقب سير . وليس الشأن كذلك عند أحمد رضا، فما كان له مع الإنجليز شأن، بل

بلغ به الأمر أن يزجر المسلمين عن أدنى صلة لهم بالإنجليز، وذلك ما لا حاجة فيه إلى إيضاح، فهو مستمسك بدينه القويم الذي يريد أن يوضح أصوله وفروعه وأحكامه لأبناء لا إله إلا الله محتسبا وكفى .

وننظر بعد ذلك فى التطابق بينهما من حيث موقفهما من التوسل، فلقد كان كل منهما يعتقد فى التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل البيت والصحابة والأولياء، وذلك ما يبدو فى أشعارهما وسلوكياتهما .

إن حب الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعمر به قلبهما، فإقبال على فراش موته فى آخر عهده بدنياه كان يتوسل بخير البرية صلى الله عليه وسلم ويناجيه، وكان يزرف الدمع فى لهفة من يحن حنينه إلى زيارته وخاصة أن قضاء الله لم يقدر له أن يحج البيت مما غمر قلبه بالأسى، ويا طالما عبر عن ذلك بدموع غزار .

وهذا الحرمان جعله يتخيل خروجه إلى الحج فى شعر فارسى هو رباعيات فى كتابه هدية الحجاز .

يقول إقبال[٨٥] :

ليثرب كان فى كبرى رحيلى
وبى فرح اللقاء مع الخليل
كأن الطير قبل الليل يمضى
ويبغى العيش فى الروض الجميل

❋❋❋

أقول لناقتى بالرفق سيرى
بشيخ فارقنى مضنى حسير
فسارت ناقتى سيرا عنيفا
أتخطو فى الرمال أم الحرير

❋❋❋

---

(٨٥) حسين مجيب المصرى، هدية الحجاز، الترجمة المنظومة لكتاب أرمغان حجاز، ص٤٤ : ٤٨ (القاهرة، ص١٩٧٥م).

ويا جمال عنها اطرح عقالا

لروحى روحها كانت مثالا

تهادت موجة أيقنت منها

بأن على الفؤاد الأسر طالا

❊❊❊

ترقرق دمعها سود العيون

ومن زفراتها كانت شجونى

مدام أضرمت فى القلب نارا

بنظرتها كموج يحتوينى

❊❊❊

وفى الصحراء قافلة تكون

وفى توديعها خفقت لحون

ألا فاسجد على رمل تلظى

عليه الوسم يحترق الجبين

❊❊❊

نديم الروح بادلنى شكاتى

وقل مثلى بمحجوب مماتى

لنلثم موضع القدمين فاهمس

بأجفان رقاق دامعات

❊❊❊

تمهل لا تقم تلك الخيام

دليل الركب فى البيداء هام

وهذا العقل نعدمه دليلا

لذا للقلب أسلمت الزمام

❊❊❊

مساء مثل فجر قد تبسم

تمطى صبحها والليل أظلم

تمهل إن خطوت على رمال

كقلبى كلها قلب تألم

❊❊❊

أشب فرحا بأحزان الطريق

وكن مجنونه غير المفيق

طريقا طال يا حادى لتسلك

وآلام المفارق من حريق

❊❊❊

وحسبنا هذا القدر من تلك الرباعيات، ونقول إن اختيار «إقبال» للنظم فى الرباعيات يكسب شعره رونقا على حدة، لأن شاعر الرباعية مضطر إلى تحديد فكرة له فى أربعة أسطر، فلزم أن يجليها ويبرزها على نحو يجعلها فى إطار يمسكها.

إن «إقبالا» يتخيل هذا الطريق الذى يسلكه إلى بيت الله العتيق وكأنما يتأثر بالصوفية الذين يسلكون فى تصوفهم طريقا يطوون فيه مرحلة بعد مرحلة. إنه يحلم بسفرة يطوى فيها المراحل إلى أرض الرسول صلى الله عليه وسلم، تلك الأرض التى كانت تنتظر قدومه إليها فى لهفة المشتاق.

فها هو ذا يعبر عن شوقه إلى ذلك المنزل فى تلك الطريق الطويلة، وقد شفه الألم لأنه لم يبلغ غايته، فجعل يناجى ناقته ويباكيها ويشاكيها وكأنما ود لو قدر لها أن تحمله إلى أرض الحبيب التى انقطعت وسيلته إلى بلوغها.

إن لهفة الحرمان تتجلى فى هذا الشعر الذى يخفق بحب سيد المرسلين، ويهفو به ذلك الشوق ثم يهفو ليضنى بالعذاب المستهام. فحب النبى يتجلى فى هذا الشعر فى رقة، وكأنه دمع رقراق وعلى نحو لا نعهده عند من يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم، مدحا تقليديا. وهنا تبدو عبقرية إقبال وشاعريته التى أخفتها رغبته فى تضمين شعره نزعته الفكرية وقصره على المعنى الذى قد يضيع معه قدرٌ من سحر البلاغة وروعة الفن.

أما أحمد رضا فقد مضى إلى الحجاز حاجا وهناك نظم شعرا فى مدح النبى، وخالل أهل الدين والعلم ودار الحوار بينه وبينهم فى مسائل الدين، كما حج البيت ثانية، وجمع بين الحسنيين، زيارة روضة الرسول صلى الله عليه وسلم والاجتماع بأهل الدين والعلم

من العرب الذين جمعهم الموسم من أرجاء البلاد الإسلامية .

كما نعلم من شأنه أنه نظم قصيدة بالأردية وهو فى طريقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى حجته الأولى، وفى مطلعها يرفع نداءه إلى الحجيج ويهيب بهم أن يحثوا خطاهم إلى المدينة ليروا روضة الحبيب صلى الله عليه وسلم بعد أن شهدوا الكعبة، فروضة الحبيب كعبة للكعبة .

إنه بمثل هذا من قوله كأنما يدلى برأى يتأثر فيه بفقهه لأنه يعلل أهمية زيارة القبر الشريف بأن لهذا القبر منزلة يشبهها بمنزلة بيت الله . فهذا البيت يقيم الفارق بين نوعية كلامه وكلام «إقبال»، «فإقبال» ذلك اللهفان الذى يكابد ما يكابد من لوعة الحرمان ، فكلامه عاطفة فى صميمها، ولن يكون الأمر كذلك عند «أحمد رضا» الذى طاب نفسا وقر عينا بعد أن بلغ الغاية وحقق المنى . وهذا يحدد ما بين الشاعرين من تفاوت إزاء حج البيت على العموم .

يقول التاريخ إن إقبالا قدم مصر، ومضى إلى أزهرها الشريف مثابة الدين ومنارة الدين القويم، والتقى بشيخ الإسلام ومفتى الديار المصرية ودار بينه وبين الشيخين حديث ذو شجون، وكذلك بأكابر علماء الأزهر . وهذا ما لم يجر قضاء الله به لأحمد رضا، وإن التقى بشيوخ الأزهر فى أرض الحجاز، وقرظوا كتبا له . وهذا يرشد إلى أن كلا منهما يتفق مع الآخر فى نظرته إلى الأزهر الشريف، ويعرف أن له ما له من علو القدر ورفعة المنزلة عند علماء الدين والمسلمين أجمعين .

أما موقفهما من العرب فالحاجة فيها إلى فضل من تفصيل، فقد عرفنا أن أحمد رضا هوى فؤاده إلى العرب وذلك بفضل الدين القيم الذى جمعه بهم .

أما إقبال فهو القائل :

قول «إلا الله» مَنْ قد ردّدوه
ذلك المصباح أين أوقدوه
نفس الأمى مرموق النسب
جعل الجنات صحراء العرب
كيد غربى لتحذر يا غرير
فتنة من بعد أخرى كم يثير

إن إقبالا يقرن ميله إلى العرب بما يربطه بهم من دين الله الحنيف، وبحب خير البرية صلى الله عليه وسلم، فهو هنا متفق مع أحمد رضا، وهو إلى ذلك يلقى بالا إلى العرب ويدعوهم إلى أن يأخذوا حذرهم من المستعمرين الذين يوقعون الفتنة والفرقة بينهم ليكون لهم السلطان عليهم .

ولإقبال ست قصائد بالأردية، هى أندلسيات أرخ فيها لخلفاء وأمراء وقادة العرب وفيها يبدو تياها بعظمتهم وعزتهم ونجاحهم فى فتح الأندلس ونشر حضارة الإسلام فيها بكل جوانبها ومظاهرها، إنه القائل :

جنود وإيمانهم فى القلوب
كشفت لهم أنت سر الغيوب
وقفر وبحر لإقدامهم
تخر الجبال لإعظامهم
وموت الشهيد لنعم الأرب
ولا الجاه والملك بل والنشب
وصحراءنا تلك أضحت لنا
برفع الأذان وما حولنا
وأما الحمام فليس العدم
وخلد لنا الموت تحت العلم [86]

ففى هذه الأبيات يحيى إقبال طارق ابن زياد ويفخر بجند المسلمين المجاهدين الذين بذلوا أرواحهم مجاهدين فى سبيل الله على أن الجهاد هو الذى يبلغ بهم جنات النعيم . إنه يتمثل نفسه مجاهدا معهم فى سبيل الله، وهنا تبدوا الصلة الوثقى بينه وبين العرب، وبذلك يبدو أن كلا منهما ارتبط بالعرب فى المقام الأول بذلك الإيمان الذى تمكن فى قلبهما فضل تمكن، الحق والحق نقول، إن أحمد رضا أوتى من كل علم، بيد أننا لا نعرف عنه أنه ألقى بالا إلى الفلسفة على الخصوص، فما ضرب فى متاهاتها، ولا نظر فى معضلاتها . أما إقبال، فالشأن عنده غير الشأن . فقد عكف على دراسة الفلسفة فى إنجلترا

---

(٨٦) حسين مجيب المصرى، الأندلس بين شوقى وإقبال، ص٢١٠، (الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة) ١٩٩٩م .

وألمانيا، واغترف منها اغترافا، وما كفاه ذلك، بل اتصل ببعض أساطين الفلسفة من الأوروبيين وحاورهم فى منطق مستقيم راشد، وبذلك استطاع التأييد أو التفنيد. ونلفى هذا فى موقفه من الفيلسوف الألمانى نيتشه.

ونيتشه يرى أن إرادة القوة عنده إرادة فريدة، فهى تحب ذاتها، كما أنها تقسو على غيرها، بل فى الأحايين تقسو على نفسها، وتجد فى المخاطرة وفى الشعور بالألم ضرورة لها لا غنى عنها، وهذا من رأى نيتشه لا شك يتجافى عن القيم والمثل، لأنها تجعل القوة المبدأ الأساسى الأول الذى ينبنى عليه كل قيمة ومسلك [٨٧].

فهذا الفيلسوف يأخذ بمبدأ العنف ويجعله المبدأ الذى تنبنى عليه فلسفته، وما من ريب فى أن إقبالا صاحب نزعة إنسانية بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى. ولنستمع إليه يتحدث عنه فى كتابه «جاويد نامه» الذى ترجمناه إلى الشعر العربى تحت عنوان «فى السماء» [٨٨]:

قلت للرومى ذا المجنون من؟
قال فى الألمان مشهور الزّكن [٨٩]
كان بين العالمين موضعه
وقديم اللحن منه نسمعه
إنه الحلاج لكن أين عوده؟
قال قولا وسواه لا يعيده
وجرئ القول برّاقَ الفكرَ
قَوله السيفُ الفرنج قد شطر
الجليس ليس يدرى جذبته
تحسب المجذوب جُنَّ نظرته
من خُمارِ العشق معدومو النصيب
نبضه قد أودعوا كف الطبيب [٩٠]

---

(٨٧) مراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلاله، المعجم الفلسفى، ص١٠ (القاهرة ١٩٧١م).

(٨٨) حسين مجيب المصرى، فى السماء، ٢٣٣ - ٢٣٧ (القاهرة ١٩٧٣م).

(٨٩) الزكن: العقل والحكمة.

(٩٠) الخمار بالضم الصداع من شدة السكر.

عند أهل الطب خَتْلٌ ما وجد
ويل مجذوب لإفرنج ولد [٩١]
ابن سينا فى كلام قال أفصد
أو بَحبٍّ من شكى الأوجاع أرقد
كان حلاجا بأرض كالغريب
فرّ من قتل الفقيه لا الطبيب!
الطريق فى الفرنج من عرف؟
فعلى قيثارة دوما عزف
الطريق ليس فيه من دليل
ضل فى سير وفى سير وبيل
كان مالا لم يجد من عدّه
ينجز الأعمال لكن وحده
عاشق لكن طوته زفرته
سالك قد تيهته خطوته [٩٢]
حطّم الكاسات ذيّاك الثمل
وعن الله وذات منفصل
ورأى لكن بعين الظاهر
الرقيق فى العنيف القاهر
وانطلاقا شاء من طين البدن
وخروج الحبِّ فى قلب قطن
ومقام للإله ما يريد
وعن العقل البعيد والبعيد
عن تجلٍّ ما لديه من خبر
كثمار أبعدوها عن شجر

---

(٩١) الختل: الغش والخداع.

(٩٢) تيهه: أضله وضيعه.

ليته من عاش فى عصر لأحمد

ليعيش فى الحبور وهو سرمد [٩٣]

عـقله للذات قـال: اسـتـمـر

أنتَ فى خيـر طريق، فلتـسـر

إن إقبالا يجرح نيتشه تجريحا بعد تضلعه من الفلسفة واقتناعه بالمذهب الذى أخذ به لا يبغى به بديلا. إنه يعيب على نيتشه أخذه بالعنف لأنه يأخذ باللين واللطف فهما يقفان فى ذلك على طرفى نقيض. وأى عجب فى ذلك وهو المؤمن الموقن والإسلام دين السماحة بتمام المعنى.

إنه فى كتاب «فى السماء» يتخيل أنه التقى بجلال الدين الرومى فيما وراء الأفلاك ويحدثه عن نيتشه فيقول عنه إنه من هذا المجنون ساخرا متهكما ويزيد من تهكمه بقوله إنه مع جنونه ذائع الصيت بعقله وسداد رأيه وصحة تفكيره فى الألمان. إنه يشبهه بالحلاج الذى قال «أنا الحق» وصلب بقولته تلك، وكأنما ود إقبال لو صلب نيتشه كما صلب الحلاج، كما يقول إنه برأيه آذى الفرنج لأن رأيه رأى فاسد باطل، ثم ينطلق إقبال على سجيته، إنه متأثر بالتصوف فى روحانيته لأنه يتحدث عن الجذب وهو العشق الإلهى ونشوته الحالمة فيسخر منه لأن قلبه لا يرق لهذا العشق. ويشير ثانية إلى أنه عليل والطبيب لا يقع له على دواء يفضى به إلى الشفاء. ويلتفت إلى طب ابن سينا وطب الغربيين مرشدا بذلك إلى أن ابن سينا مع كونه طبيبا كان متصوفا، وتصوفه هو شفاء الروح، كما أنه يلوم نيتشه على أنه كان يذهب بنفسه ويريد ليفرض رأيه على بطلانه، ثم يعود إلى تهكمه به وسخريته منه فيقول: إنه إن كان عاشقا فليس عاشقا صوفيا، بل كان عاشقا أضر به عشقه، كما أنه لم يثمل ولا ذاق نشوة العشق الإلهى بل كان ذلك الخمير الذى ثمل فحطم كؤوس المرام. كما قال يعوزه أن يكون رقيق القلب صفو الروح يدرك معنى التجلى. وهذا ما لا يدركه من هو فى مثل عنفه الذى يتعارض مع ما ينبغى أن يكون عليه من له نزعة إنسانية، وتلك النزعة الإنسانية الرقيقة لا تتعارض قط مع التعقل.

---

(٩٣) أحمد هو الشيخ أحمد السرهندى المتوفى عام ١٥٦٤، ذلك الصوفى الهندى الذى عاصر أكبر وجانكيزا من أباطرة المغول فى الهند، وقد عرف بمجدد الألف الثانى. وكان ضد غلاة المتصوفة.
الحبور: السرور. السرمد: الدائم.

فإقبال هنا يتصدى لنقد هذا الفيلسوف الألمانى الأشهر ويعبر ضمنا عن مذهبه فى التفكير الذى يتعارض كل التعارض مع مذهب نيتشه.

ومما يختلف فيه إقبال عن أحمد رضا، أن إقبالا ذاع صيته فى آفاق الشرق والغرب بما ترجم من كتبه وما كتب عنه، أما أحمد رضا فعرف فى العالم الإسلامى بما كتب عنه وعن مؤلفاته كما أنه كتب بالعربية فى شتى العلوم الإسلامية مما عرف العرب بمؤلفاته فى سهولة ويسر. كما أن كثيرا من كتب أحمد رضا مازالت مخطوطة لم تر النور بطبعها. على حين نشرت مؤلفات إقبال كلها، وترجم معظمها إلى لغات شتى فعرف فى الغرب بقدر ما عرف فى الشرق.

ونحن بعد كل ما أسلفنا نجد مس الحاجة إلى كلمة نقول فيها: إن أحمد رضا ومحمد إقبال شخصيتان تتكاملان فى شخصية واحدة، هى الشخصية الإسلامية المثلى بكل ملامحها وصفاتها وسماتها، وهى شخصية عَلَم من أشهر أعلام الإسلام فى العصر الحاضر أنجبته شبه القارة.

نظرة فى السلامية

لا يصل قلمنا فى هذه الصفحات إلى نهاية قبل أن نتمثل هذه المنظومة السلامية فى نظرة مستوعبة نتأملها فى إطار فضفاض يجمعها فى كيان مرموق. وفى الحسبان أن فى ذلك توسيعا للمعرفة بها وإدراك ما ترشد إليه، وتدعو إلى استطراد مفيد يزيد الحقائق إيضاحا وإشراقا.

فالمدائح النبوية فن شعرى أذاعه التصوف، وهى تعبير عن عاطفة دينية وأدب جد رفيع لأنها إنما تصدر عن قلوب غمرت بالصدق والإخلاص [1].

هذا رأى لا غبار عليه إلا أنه حكم فيه الحاجة إلى شيء من إيضاح.

فالقول بأن الصوفية هم الذين أذاعو المدائح النبوية بالمعنى الذى نقصده، وهو نظم مدائح فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم من ألفها إلى يائها، قول تعوزه الدقة. فمن نظموا المدائح النبوية كالسلامية مثلا التى نحن بصدد القول فيها لم يكونوا من الصوفية بالمعنى الذى يسبق إلى الفهم، فنحن نعرف من المتصوفة، ما لا يحصى كثرة، فما نظموا جميعا فى المدائح النبوية، فالأولى أن يقال إن المؤمن الموقن لا شك يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا جما، ومن الشعراء من مدحوا النبى لفرط محبتهم له، أما أن يكون منهم من كان صوفى المذهب بخاصة، فلا يسعنا القول إن تصوفه وحده كان دافعه إلى مدح سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم. وعليه فالوجه أن يقال ليس كل صوفى مداحا للنبى، فمدح النبى لا يتعلق ضرورة بشرط أن يكون المادح صوفيا.

نحن نعلم أن أحمد رضا لم يشتهر بالتصوف وحده بل بالتصوف وكثير غيره من العلوم الإسلامية، فليس تصوفه هو الدافع إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه مدحه لحبه له، وبدافع من تقواه، وربما كان فى هذا من رأينا ما يفسر مضمون حكمنا. . ونحن على حجة من أن من مداحى الرسول صلى الله عليه وسلم من لا نعرف عنهم أنهم كانوا من المتصوفة.

---

(١) د. زكى مبارك، المدائح النبوية فى الأدب العربى، ص١٧ (القاهرة، ١٩٣٥م).

والنقلة بعد ذلك إلى عنوان المنظومة وهو «السلامية»، والسلام متصل بالصلاة بدليل قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾(سورة الأحزاب/ الآية ٥٦).

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثنى، صلوات الله وسلامه عليهم».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا».

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة».

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علىّ، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول بليت، قال: إن الله حرم عل الأرض أجساد الأنبياء».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ علىّ».

وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا قبرى عيدا، وصلوا علىّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام».

وعن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ علىّ».

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوافى صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصلِّ على النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجل هذا ثم دعاه فقال له - أو لغيره - إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء».

وعن أبى محمد كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: خرج علينا النبى صلى الله عليه

وسلم فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال له بشير بن سعيد: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله، فكيف نصلى عليك؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبرهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهم إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم».

وعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال: قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

وندرك مما أوردنا من آية كريمة وأحاديث شريفة أن الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم يقترنان ولذلك نجد أن أحمد رضا فى منظومته يقرن بينهما على الدوام بعد كل بيت. كما أن الصلاة قد تطلق على آل النبى وأزواجه وذريته.

وأصل كلمة الصلاة راجع إلى معنيين أحدهما: الدعاء والتبريك، والثانى: العبادة.

فمما يدل على الدعاء والتبريك قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾ (٩ : ١٠٣).

وقوله تعالى فى حق المنافقين: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ (٩ : ٨٤).

وقول النبى صلى الله عليه وسلم: «إذا دعى أحدكم إلى الطعام فليجب فإن كان صائما فليصل» فهذا دعاء بالبركة.

كما قيل إن الصلاة فى اللغة معناها الدعاء.

والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والعابد داع، كما أن السائل داع، وبهما

(٢) راجع فى هذه الأحاديث محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى، رياض الصالحين، ص٣٠٧، ٣٠٨ (القاهرة ١٩٨١م).

فسر قوله عز من قائل: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ (٤٠ : ٦٠).

كما فسر بها قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان﴾ (٢ : ١٨٦)، والصواب: أن الدعاء يعم النوعين، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه، فمن استعماله فى دعاء العبادة قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض﴾ (٣٤ : ٢٢) وقوله تعالى: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ (١٦ : ٢٠).

وقوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾ (٢٥ : ٧٧).

أما صلاة الله سبحانه وتعالى فنوعان: عامة، وخاصة. فالعامة صلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ (٣٣ : ٤٣)، كما أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالصلاة على آحاد المؤمنين فقال: «اللهم صل على آل أبى أوفى» وفى حديث آخر قيل إن امرأة جاءته تقول: «صل علىّ وعلى زوجى» فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «صلى الله عليك وعلى زوجك».

أما الصلاة الخاصة فهى على أنبيائه ورسله، وعلى الأخص على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد.

وقد تضاربت الأقوال فى معنى صلاة الله فقيل: إنها بمعنى رحمة الله، كما قيل إنها المغفرة.

وابن قيم الجوزية يتصدى لتعريف الصلاة عل أنها المغفرة بالتجريح، ويرى أن الله عز وجل فرق بين الصلاة على عباده ورحمته، فقال: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (٢ : ١٥٦ ـ ١٥٧) وبذلك كان العطف على الصلاة فتغايرا فى المعنى.

وأضاف يقول إن صلاة الله خاصة بالأنبياء والرسل والمؤمنين، أما رحمته تعالى فهى التى وسعت كل شىء، فليست الصلاة مرادفة للرحمة، غير أن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ما لها من ثمرات ومقاصد.

ولا خلاف فى جواز الرحمة على أهل الإيمان، واختلف السلف والخلف فى جواز الصلاة على غير الأنبياء.

فالصلاة على المصلى عليه تنويه به، وذكر لمناقبه، فصلاة الله على الرسول صلى الله عليه وسلم الثناء عليه عند الملائكة[3].

(٣) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام، ص٧٦ـ ٨٠ (القاهرة).

وعلى ذكر الصلاة لا يفوتنى فى هذا الصدد أن أشير إلى ما جاء فى فضلها ومزيتها فى المولد التركى لسليمان جلبى ونعم المولد ما هو .

قال الرحالة التركى القديم أوليا جلبى وهو يذكر مدينة بروسه مسقط رأس سليمان جلبى، إن مولده الذى يتلى فى بلاد العثمانيين وغير العثمانيين من بلاد الإسلام شعر معجز وسهل ممتنع [٤] .

والمولد ف التركية سرد للسيرة العطرة مع مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

ونورد هنا مثالا منه لندرك مفهوم الصلاة فى كلام صاحب هذا المولد الذى نقلناه من الشعر التركى إلى الشعر العربى .

هذه الليلة جـاء المصطفى
مـلأ العـالـم نورا وكفـى
يجـعل الدنيـا جنانا للنعـيم
وبها الرحمة مـن رب رحـيم
يا له من رحـمـة للعـالمين
وشفيـع لجميـع المذنبين
وصـفـه هذاك عند من وصف
فبهـذا النـور قد زاد الشغف
هذه الليلة يأتينا الحـبيب
ولنا من رحـمـة اللـه النصيب
النبى صـاحب الدين ولـد
فى السمـا والأرض نور قـد وجـد
ومن النار إذا شـئت النجـاة
فـعليه قل بعـشق الصـلاة [٥]

فسليمان جلبى يرى أن من قال الصلاة على النبى حط الله عنه خطاياه، وهذا ما يبلغ به الجنة ولذلك يسمى مولده كذلك وسيلة النجاة، أى أنه نظمها فجعلها منجاة له، ولمن سواه

(٤) أوليا جلبى : سياحتنامه، ص٥٣ . ايكنجى جلد (استانبول ١٣١٤هـ) .

(٥) حسين مجيب المصرى، المولد الشريف، ص١٠٧، ١١١ (القاهرة ١٩٨١م) .

من عذاب السعير . فهذا مفهوم آخر نضيفه إلى ما سبق من مفاهيم أو من مزايا الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وسليمان جلبى يكرر هذا البيت الذى يتضمن الصلاة على النبى مرارا فى مولده، ومما يضفى على هذا المولد طابعا يمس شغاف أهل لا إله إلا الله، كما يكسبه إيقاعا وتنغيما يثير نشوة الإيمان .

وما أجدر أن نذكر فى هذا المقام أن أحمد رضا خان أخذ برأى من جوزوا الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم وصحابته والأولياء، وغيرهم، وردد ذلك فى عامة شعره .

إن أهل العلم اختلفوا فى السلام : فقيل السلام يشرع فى حق كل مؤمن حى وميت وحاضر وغائب [٦] ونصادف ذكر السلام كثيرا مقترنا بالصلاة كما فى أدعية العارف بالله سيدى الشيخ المختار الكونتى المتوفى عام ١٢٢٦ هـ . فهو القائل فى دعاء له :

اللهم صلى على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وعشيرته وأتباعه وأشياعه وحزبه وأصهاره وأنصاره، كما صليت ورحمت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . وسلم عليه وعلى اله وأصحابه وأزواجه وذريته وعشيرته وأتباعه وأشياعه وحزبه وأصهاره وأنصاره أذكى سلام وأتم سلام وأعم سلام سلمت به على أحد من أنبيائك وأصفيائك، من أهل أرضك وسمائك إنك حميد مجيد [٧] .

أما الشمائل النبوية، فأول ما يقال فى صددها أنها كانت موضع اهتمام خاص من أهل العلم، فقد أخرجوا فيها كتبا عدة، وشروحا تنوعت وتعددت فأصبحت مادة خاصة على حدة أخلى كثير من المؤلفين والمصنفين ذرعهم لبسط الكلام فيها . وتفصيل الأمر فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ما قيل من أنه أحسن خلق الله خلقا وخُلقا . . ولا غرو فى ذلك، فإن للمسلم أن يكون له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، والأسوة تكون بالتشبه به فى خلقه، وما دامت هذه المقولة تضم الخلق والخلق فما كان بدعا أن يكون الاهتمام كذلك بخلقه عليه الصلاة والسلام .

جاء فى كتاب الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية مندرجا تحت باب خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا رواها الصحابة والتابعون رضوان

(٦) جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام، ص٢٦٢ .

(٧) المختار الكونتى، لب الألباب فى الصلاة على النبى الأواب، ص١٦ (القاهرة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

الله عليهم، منها ما رواه سيدنا أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالأدم، ولا بالجعد القطط، ولا بالسّبط، بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة شر سنين، فتوفاه الله تعالى على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء».

وقال البراء بن عازب رضى الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئا قط أحسن منه».

وقال على بن أبى طالب: «لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم طويل، ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس ضخم الكراديس، طويل المسربة، إذا مشى تكفّأ تكفُّؤا كأنما ينحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم»[8].

فهذه الأحاديث متداخلة متساندة لا يختلف أحدها عن الآخر إلا فى قليل، وهى تكاد تجمع معجم شمائله صلى الله عليه وسلم.

ولكننا نرى من الخير بعد هذا العموم أن ننتقل إلى الخصوص، بمعنى أننا نريد أن نذكر هذه الشمائل كما وردت فى كتب الشمائل، وأن نتوخى أن يكون ما نذكره مطابقا لما جاء فى المنظومة السلامية.

فأول ما ذكره أحمد رضا الشعر فذكر استقامة مفرقه ولكن قالت عائشة رضى الله عنها: «كان شعر النبى صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة، ودون الجمة»، وقالت أم هانئ: «قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة قدمة وله أربع غداير يعنى ضفاير»، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وان المشركون يفرقون رؤوسهم فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد». وقالت عائشة رضى الله عنها: «أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، صدعت فرقة عن نافوخه، وأرسلت ناصيته بين عينيه». وقال أنس بن مالك: «لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة ونحر هديه، ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه فناوله أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه

(8) الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، ص٧-٩ (بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

وأمره أن يقسم بين الناس»[9].

وبالذكر حقيق أننا بتلك الكيفية التى أوردنا فيها الأحاديث الشريفة والإشارة إلى ما جاء فى كلام أحمد رضا إنما نتحين الفرصة لزيادة النفع وتوسيع المعرفة، كما أننا نزيد قول أحمد رضا إيضاحا خاصة أنه ما كان فى الإمكان أن يقول أكثر مما قال فى شعر لا يتسع لأكثر من إشارات لامحة.

ومما جاء فى أذنه قول أحمد رضا إنهما تلقى السمع إلى البعيد والقريب، ولكن لم نقع على وصف لها فيما بين يدينا من كتب الشمائل.

أما جبينه صلى الله عليه وسلم فقال فيه شاعرنا: إن الجبين السعيد ازدان بتاج الشفاعة فهو بذلك يقرن بين المحسوس والمعنوى. ومما جاء فى جبينه صلى الله عليه وسلم قول أبى هريرة رضى الله عنه قال: «كان مفاض الجبين»، وقال الحسن بن على عن خاله قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الجبين».

أما حاجبه صلى الله عليه وسلم فيقول عنه أحمد رضا إن محراب الكعبة انحنى إجلالا لحاجبه، إنه لم يذكر صفته إلا أنه شبهه فى مخيلته فى هيئته بالمحراب فجعله منحنيا مثله. وجميل أن يشبه الحاجب بالمحراب، لأن فيه صورة جميلة توحى ضمنابالتقديس.

قال الحسن بن على عن خاله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزج الحواجب، سوابغ فى غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب».

أما جفناه صلى الله عليه وسلم ففى السلامية أنهما يظلان عينيه على أنهما يظلان قصرا للرحمة. ولكن فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنها كانت طويلة الأهداب وطول الأهداب من صفات جمالها.

أما عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء فيها أنها كانت أينما نظرت أحيت ما نظرت إليه كما كانت تغض من بصرها حياء. وهذا ما يضفى عليها قدرة إلهيةخارقة وإن كانت ساجية النظرة فلفرط الحياء.

وجاء عند أبى داود أنه صلى الله عليه وسلم كان أشهل العينين أى يخالط سوادهما زرقة. وفى قول آخر أنه كان أشكل العينين أى طويل شق العين.

وفى قول آخر: «إنك إذا نظرت إليه صلى الله عليه وسلم قلت إنه أكحل العينين وليس

(9) البيهقى، دلائل النبوة، ج١، ص١٦٩-١٧٠ (بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

بأكحل» والكحل سواد فى العينين يشبه الكحل ولكن من غير اكتحال .

كما قيل إنه صلى الله عليه وسلم كان مشرب العينين بحمرة . وفى قول إنه كان أسود الحدقة» ، وفى قول : «إنه كان أدعج العينين» والدعج سواد العين مع سعتها .

ولقد أحسن أحمد رضا صنعا بخروجه من هذا الخلاف فى وصف هيئة هذه العين الشريفة بأن أضفى عليها من خياله وشاعريته .

أما أنفه عليه الصلاة والسلام فأنف شامخ ، أى فيه شمم ، ومعلوم أن الشمم كناية عن العزة والرفعة ، واعتزاز واحترام صاحب هذا الأنف بنفسه . كما أن جَدْع الأنف وإرغامه دليل على الإذلال .

وجاء فى حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان أقنى العرنين ، والقنا احدداب فى الأنف .

وفى المنظومة أنه جميل الخد ، وجمال الخد دليل على جمال الوجه .

أما قامته صلى الله عليه وسلم فقد وصفها أحمد رضا بالرشاقة ، والرشاقة جمال القامة ، وقد ورد وصفها فى أحاديث أسلفنا ذكرها .

أما صفة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه البّراء : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها» .

وسأله سائل : «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حديدا مثل السيف؟ فقال : لا ولكنه كان مثل القمر» .

وسأل رجل ، جابر بن سمرة قائلا : «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال جابر : لا . . بل مثل الشمس والقمر مستديرا» .

وقال كعب بن مالك : «لما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه وكأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه» .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «دخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا وأسارير وجهه تبرق» .

وأحمد رضا يتفق ما قاله تمام الاتفاق مع قول الصحابة عموما وقول عائشة خصوصا .

وأحمد رضا بعد ذلك ينتقل إلى راحة الرسول صلى الله عليه وسلم أخذا مما جاء فى كتب الشمائل ، وفى ذلك يقول أنس رضى الله عنه : «ما مسست بيدى ديباجا ولا حريرا

ولا شيئا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وروى سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : «ما شممت شيئا قط ، مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مسست شيئا قط حريرا ولا ديباجا ألين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وعن أنس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ وما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وقال جابر بن سمرة رضى الله عنه : «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه ، فاستقبله ولدان فجعل يمسح جدَّى أحدهم واحدا واحدا ، قال : وأما أنا فمسح خدى ، قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنها أخرجها من جونة عطار» .

وروى جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال : «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمنى فقلت له : يا رسول الله ناولنى يدك ، فناولنيها فإذا هى أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك» .

وعن عبد الجبار بن وائل قال : حدثنى أهلى عن أبى قال : «أتى النبى صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب فى البئر ، أو قال شرب من الدلو ثم مج فى البئر ففاح منها مثل رائحة المسك» .

وعن أنس رضى الله عنه قال : «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق ، فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين؟ قالت : هذا عرق نجعله لطيبنا ، وهو أطيب الطيب»(١٠) .

وهنا نقف وقفة لنتبين أن أكثر من صحابى ذكر الطيب الذى ينبعث من جسد الرسول عليه الصلا والسلام ، مما يقوم دليلا على أن طيب تلك الرائحة كان أمرا معلوما عند الصحابة الذين كانوا يتبركون بتنسمها ويعجبون لذلك الشذا المنبعث من عرقه الشريف ، مما يؤيد أن الله الذى اصطفاه وميزه فى خلقه مما لم يميز به غيره . وهنا ترد على الخاطر مقولة

---

(١٠) البيهقى ، دلائل النبوة ، ج١ ، ص١٨٨ : ١٩١ .

طالما نسمعها ممن يحضرون وفاة بعض الصالحين وغيرهم فيقولون: إن يدهم بعد الوفاة تتميز باللين وينسبون هذا اللين إلى صلاحهم معجبين، والظن أنهم فى هذا يذكرون ما قيل عنه عليه الصلاة والسلام من أن يده كان رخصة طيبة الريح.

جاء فى البيهقى ذكر لحيته عليه الصلاة والسلام فى أكثر من حديث تضم وصف لحيته، وشاربه وغير ذلك من شمائله، فقيل إنه كان أسود اللحية كثها عظيمها. قال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه: «كان رسول الله صلى الله عيه وسلم ضخم الرأس واللحية».

وعن محمد بن على عن أبيه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كث اللحية».

وعن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الثغر».

وقال أبو جهم: «نزلت بالرجيع فقيل لى ههنا رجل قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته فقلت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم رأيته رجلا مربوعا حسن السبلة».

قال وكانت اللحية تدعى فى أول الإسلام السبلة[١١].

وإذا التفتنا إلى شاعرنا أحمد رضا، رأيناه يختص وصف اللحية الشريفة ببيتين متتاليين، وجدناه متأثرا بما تردد كثيرا فى الشعر الفارسى، لما يسمى الخط، والخط هو شعر اللحية أو الصدغ الخفيف ولونه يضرب إلى الخضرة، وشبه بعشب حول ماء معين. وهذه صورة لها وقعها فى النفس، لكنه بعد ذلك يذكر اللحية ثانيا ويجعلها بلسما، والبلسم سائل عطرى يخرج من شجر باليمن وحول مكة، تضمد به الجراح، وجميل من أحمد رضا أن يشبه اللحية بالبلسم، لأنه يقرن المحسوس بالمعنوى، فلا يكتفى بالصورة بل يتجاوزها إلى أثرها، فهذا البلسم يشفى الجراح، فكأن للحيته صلى الله عليه وسلم خصوصية طيبة رقيقة، فضلا عن صورتها التى أوردها فى تشبيهه لها فى هذين البيتين المتعاقبين.

أما فمه الشريف، فعند أحمد رضا أن شفته ورد رقيق، فهو لا يأتى بتشبيه غير تقليدى، فقد درج شعراء الفارسية والتركية والأردية على تشبيه الشفتين بالبرعم، إلا أنه يضيف إلى ذلك تشبيهه بما فيه من رقيق، بأن له صفة البئر التى طاب ماؤها لمن رشف منه على ظمأ.

---

(١١) البيهقى، دلائل النبوة، ص١٦٣ : ١٦٥.

كما لا ينسى أن هذا الفم الشريف نطق بوحى الإله، فتلك له خصيصة ما أجلها وأعظمها، فهو لا يكتفى بالوقوف عند الهيئة أخذا من كتب الشمائل، بل يضيف من عندياته ليذكر ما وراء ما تقع عليه العين ويدركه العقل وتصفو به الروح.

ويستوفى وصف الفم بالإشارة إلى اللسان وفى ذكره له يشبهه بمفتاح كنز، وهذا اللسان ما قال إلا ما هو الحق المبين، الذى يبدو كالشمس فى رائعة النهار. ونحن نعهد هذا ونعرفه من سيرته العطرة فقد عرف بالصادق الأمين والمصدوق حتى قبل بعثته.

وبسط شاعرنا قوله فى وصف فمه الشريفة متعرضا لوصف أسنانه فقال إنها كالدرر ولها إذا بدت نور، وروى عن الحسن بن على عن خاله أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشنب مفلج الأسنان»، والشنب حدة محببة فى الأسنان، وقيل برد وعذوبة فيها.

وروى ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين، وكان إذا تكلم رؤى كالنور من ثناياه»[١٢].

وعلى الظن أن أحمد رضا أخذ هذا النور من قول ابن عباس رضى الله عنهما.

وأحمد رضا كذلك كأنما لا يريد أن يفوته شئ فى الفم الشريف إلا ذكره، فذكر لهاته، وهى لحمة فى آخر الفم فيقول: «إن فيها حلاوة الشهد ويعجب لذلك لأن تلك الحلاوة من صنع الإله، ولم نقع على ذكر للهاة فيما بين يدينا من كتب الشمائل.

ومعلوم أن التبسم خاص بالفم وأحمد رضا لا يصف التبسم كما يبدو فى رأى العين، بل يتجاوز المادية إلى الروحانية، فيقول: إنه إذا ما تبسم وشاهد أحد تبسمه كشف الله عنه ما أخذه من أسى.

ونلتفت إلى ما جاء فى كتب الشمائل فنجد[١٣] أنه كان ما ضحك إلا تبسما، فكأن ما جاء فى تلك الكتب إنما كان مجرد خبر، أما أحمد رضا فتقدم خطوة بأثر تبسمه فيمن شاهده يتبسم.

والبلسم نبات زراعى عطرى له ثمار حساسة تتلف عند اللمس[١٤].

---

(١٢) البيهقى، دلائل النبوة، ج١، ص١٦٣.

(١٣) الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، ص٩٩-١٠٢.

(١٤) الأمير مصطفى الشهابى، معجم الشهابى فى مصطلحات العلوم الزراعية، ص٥٦، (بيروت ١٩٧٨م).

وهنا ندرك وجه الشبه فى تشبيه لحيته الشريفة بالبلسم ويعنينا أنه نبات عطرى فكأن هذه اللحية عطرة كما أنها رقيقة الملمس مثل أوراق هذا النبات الذى ذكرناه، وبذلك ندرك وجه الشبه فى هذا التشبيه. فالأول هو الرقة ونعومة الملمس وجمال الرائحة، ولكن الشاعر لا يريد لهذا البلسم أن يكون دواء فيه للجراح الشفاء، بل يريد له أن يكون شفاء لجراح القلوب. وهذه روحانية يتجاوز بها المادة.

أما خاتم النبوة، فجاء فى أحاديث، أن هذا الخاتم كان بين كتفيه، وهو غدة حمراء مثل بيض الحمامة. كما قيل إنه شعرات مجتمعات، وقيل إنه بضعة ناشزة.

ومما جاء فى الخاتم ما قيل من أن سلمان الفارسى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب، فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا سلمان، ما هذا؟ فقال: صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال: «ارفعها، فإنا لا نأكل الصدقة». قال: فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذا يا سلمان؟ فقال: هدية لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أبسطوا» ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به.

وكان سلمان لليهود، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا[15] درهما».

فرؤية سلمان الفارسى لهذا الخاتم أقنعته فى يقين جازم بأنه علامة للنبوة، فرق للإسلام قلبه.

أما «أحمد رضا» فيحسن أيما إحسان فى تشبيه هذا الخاتم بالحجر الأسود، ولكن هذا الحجر ليس لبيت الله، بل لكعبة روح، وهذا منه هو التناهى فى الشاعرية والروحانية.

أما ساعداه ويداه صلى الله عليه وسلم فيجمعهما فى بيت واحد يشبه الساعدين بعمودين يقيمان بيتا للدين، وهذا رمز إلى أنه بذل ما بذل من مسعى وجاهد ما جاهد من جهاد لرفع كلمة الحق والدين.

أما اليد فجاء فى الأحاديث أنها شثنة ورخصة، وطيبة الريح، ولكن أحمد رضا لا يذكر هذا، مما يقع فى الحس ويبدو فى مرأى العين، بل يشبه ما فيها من خطوط بخطوط تموج بنور، كما يموج البحر بأمواج مزبدة. فهو يتجاوز الحقيقة بالمجاز إلا أن مجازه يشير فى وضوح إلى الدين القويم الذى جاء به سيد المرسلين فكان نورا بدد الدياجر.

(١٥) الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، ص١٤ : ١٦ .

كما أن الشاعر يشير إلى معلومة متعارفة وهى: «أن الماء العذب تفجر من بين أصابعه الشريفة، وتلك خارقة لا شك فيها، خاصة به صلى الله عليه وسلم، إلا أن كتب الشمائل التى وقعت لنا اكتفت بوصف أصابعه ليس إلا.

كما أن أحمد رضا يشبه أظافره الشريفة بالأهلة، وهو تشبيه رائع فكأنه أهبط الهلال من سمائه ليكون فى طرف أصبعه.

كما يقول إن كل قلب يسعد برؤية هذا الهلال، وهذا الهلال لا يبدو جميلا فى السماء، ويشع نورا وكفى، بل إن من رآه وجد السعادة تملأ رحاب نفسه.

ويأتى بعد ذلك شق صدره الشريف. يقول المقريزى: «شق فؤاده المقدس عند حليمة، فى بنى سعد، وملئ حكمة، وإيمانا، بعد أن أخرج حظ الشيطان منه».

وروى البخارى فى الصحيح: «شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج». وقد استشكله أبو محمد بن حزم. ثم ردته حليمة بعد شق فؤاده إلى أمه آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر، وقيل ابن أربع سنين، وقيل سنتين وشهر[16].

أما صاحب السلامية فاكتفى بقوله إن الله رفع ذكره وشق صدره. فالمدرك من قوله أن الله - عز وجل - كرمه ورفع ذكره بشق صدره.

أما قناعته بالقليل من طعامه، فمن المتعارف المعلوم أنه كان يأكل خبز الشعير، فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا هو وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير».

وعن سهل بن سعد أنه قيل له: أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى؟ يعنى الحوارى - فقال سهل: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى حتى لقى الله تعالى، فقيل له: هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما كانت لنا مناخل. فقيل: كيف كنتم تصنعون بالشعير؟ قال: كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نعجنه.

روى قتادة عن أنس بن مالك قال: «ما أكل نبى الله صلى الله عليه وسلم على خوان

(١٦) المقريزى، إمتاع الأسماع، ج١، ص٦ (القاهرة ١٩٤١م).

ولا فى سكرجة، ولا خبز له مرقق. قال: فقلت لقتادة: فعلام كانوا يأكلون؟ قال: على هذه السُّفر.

وعن الشعبى عن مسروق قال: دخلت على عائشة فدعت لى بطعام وقالت: ما أشبع من طعام، فأشاء أن أبكى إلا بكيت. قال: قلت لمَ؟ قالت: أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا، والله ما شبع من خبز ولا لحم مرتين فى يوم واحد». وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض»(١٧).

ونحن نرى أن هذا منتهى الغاية فى الزهد والقناعة، وأنه كان صلى الله عليه وسلم مخشوشنا إلى آخر مدى، وتلك ولا ريب صفة من صفات الكمال لمن يباعد بينه وبين زخرف الدنيا، ويشيح عنها متطلعا إلى الآخرة، وهى خير وأبقى. إنه بذلك يعرض الأسوة الحسنة ويضرب المثل فى القناعة، وحسبنا فى هذا الصدد أن نقول تلك المقولة التى تجرى على الألسنة، وهى إن القناعة كنز لا يفنى.

وشاعرنا يؤكد ذلك فى فرط إعجاب منه ويضيف إلى ذلك، أنه لم يخشوشن فى طعامه ليس إلا، وفى المال كذلك، فما كان صلى الله عليه وسلم ذا رغبة فى سعة المال بل عفت نفسه عن ذلك.

أما شفاعته صلى الله عليه وسلم فليس بخاف أنه النبى الأوحد بين النبيين الذى نال شرف أن يكون شفيعا لأمته يوم تقوم الساعة.

وهنا نورد ما ذكر الشاعر التركى القديم سليمان جلبى فى مولده فى فصل تحت عنوان: مرضه صلى الله عليه وسلم:

جـاء جـبـريل وقـال للنبى
السـلام لـك من رب علىّ
إنـه يسـأل عنك ويقـول
لحبيبى سؤله منى القبول
مـا رجـائى قـال، إلا أمـتى
منذ دهر من إلهى منيتى

(١٧) الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، ص٦٣ : ٦٥.

أمـتى همى وكل شـاغلى
بسـواها لا يطيب العـيش لى
كم دعوت الله فى صبحى وليلى
قلت عنها اصفح وسامحها لأجلى
جـاء بعـد العـود جبريل الأمين
بسـلام لشـفيع المذنبين
قـال لطف الله إياك غـمر
فلهـذى الأمـة الذنب اغـتفر
أنت هذا منه كنت ترتجيه
يا لقلب بسرور ماج فيه
كلما العمر به كان يطول
أمتى يا أمتى كان يقول
آخر العهد به من همته
برهة لم ينس ذكر أمته(١٨)

فى هذه الأبيات يخبرنا سليمان جلبى بأنه صلى الله عليه وسلم إلى أى حد بعيد كان محبا لأمته، لا تغيب عن خاطره مصبحا وممسيا، بل إنه في مرضه الأخير قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى ويزايل دار الفناء إلى دار البقاء، كان آخر ما ذكره أمته، وكانت شفاعته لها منيته، وذلك ما سأل الله أن يهبه إياها، فبشره جبريل عليه السلام بأن دعاءه صادف عند ربه حسن القبول.

أما عند ذكر ركبته الشريفة فلم يزد الشاعر على أن يقول: إن كل نبى جثى عنده على ركبته ـ وتبعه فى الطريق الذى سلكه، فهو لم يذكر صفة هذه الركبة، بل ذكر أنهم جثوا عليها إجلالا وإعظاما للرسول صلى الله عليه وسلم.

أما عن رضاعته صلى الله عليه وسلم فقد قالت حليمة مرضعته أنها وجدت فيه منذ أخذته كل البركة، فقد سمنت غنمها وزاد لبنها وبارك الله لها فى كل ما عندها. وأقام

(١٨) حسين مجيب المصرى، المولد الشريف، الترجمة المنظومية عن التركية لسليمان جلبى، ص١٨٢، ١٨٣ (القاهرة ١٩٨١م).

محمد فى الصحراء سنتين ترضعه حليمة وتحضنه ابنتها الشيماء [١٩] .

ولكن أحمد رضا يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتنحى عند الرضاع لمن يرضعون ، فكأن الكرم والإيثار كان من أكمل خصاله منذ فجر حياته .

وقيل إنه لما بلغ الثانية قال زوج حليمة :

الحـــــمـــد لله الذى أعطانى
هذا الغـــلام الطيب الأردانى
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعـيذه بالبيت ذى الأركـان [٢٠]

أما عن بكائه صلى الله عليه وسلم فقد أشار الشاعر أنه كان يبكى يريد لذلك أنه كان يبكى ليلا .

جاء فى بكاء النبى صلى الله عليه وسلم، أن قال أحدهم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

وبهذا يقوم الدليل أنه كان يبكى من خشية الله ، وهو فى نشوة روحية غامرة حالمة .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقرأ علىّ» ، فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : «إنى أحب أن أسمعه من غيرى» . فقرأت سورة النساء حتى بلغت : ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [سورة النساء/ ٤١] قال : فرأيت عينى رسول الله تهملان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة له تقضى ، فاحتضنها ، فوضعها بين يديه ، فماتت وهى بين يديه ، وصاحت أم أيمن فقال : يعنى النبى صلى الله عليه وسلم : «أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» فقالت : ألست أراك تبكى؟ قال : «إنى لست أبكى ، إنما هى رحمة ، إن المؤمن بكل خير على كل حال ، إن نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل» [٢١] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : إن الباعث على هذا البكاء هو الشعور برحمة يخفق بها

(١٩) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ص٧١ (القاهرة ١٣٥٤هـ) .
(٢٠) المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ، ص٣٩٨ ، ٣٩٩ (القاهرة ١٣٤٦هـ) .
(٢١) الترمذى ، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ، ص١٤٤ : ١٤٦ .

قلبه . والرحمة من النعم التى أسبغها الله على قلب المؤمنين .

فمولانا أحمد رضا بسط القول كل البسط فى شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألفيناه آخذا عما جاء فى أمهات الكتب التى تضمنت ذكرا لشمائله ، أخذا من أحاديث نبوية شريفة ، وقد زاد فى بعضها من شاعريته فزادها حسنا على حسن ، وإن وصف شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك الكيفية إذا تلقاها المتلقى تخيل أنه لقيه صلى الله عليه وسلم وطوبى لمن لقيه ، وتلمس منه بركات وبركات .

ثم يعرض شاعرنا لبعض رجال كانوا حول الرسول ، فيذكر حمزة بن عبد المطلب ، ولحمزة فى تاريخ الإسلام ذكر طويل ، فهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه كان مضرب المثل ، ويلقب بأسد الله لنجدته وبسالته ، لقد خاض الغمرات فى غزوة أحد ، لكن طعنه من يسمى وحشى ، وهو غلام حبشى لمولى مطعم بن جبير ، الذى أغراه بقتله ، وهو يمنيه بعتقه إن تم له ذلك . وقد طعنه برمح ملتمسا منه غرة ، ولما غرس الرمح فيه بلغ من قوة حمزة وشجاعته أن حاول أن يفتك بقاتله ، ولكنه عجز وخر صريعا ، فجاءت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان ، وبقرت بطنه واستخرجت منه كبده فلاكته ثم لفظتها [٢٢] لفرط حقدها وفساد قلبها . وقد أمر صلى الله عليه وسلم بجمع قتلى المسلمين إلى جنب عمه حمزة ، وصلى عليهم ، ثم أمر بدفنهم .

ويمتد بشاعرنا السياق ليذكر بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكرها ، بأكرم وأعظم ما تذكر به إحدى نساء المسلمين ، فهى عفيفة محتشمة لا ترى الشمس قط خمارها كما أنها ريحانة أبيها عليه الصلاة والسلام .

أول ما يقال فى السيدة فاطمة رضى الله عنها ، أنها دخلت التاريخ الإسلامى على نحو لم تدخله أخرى ، لقد ولدت قبل مبعث والدها صلى الله عليه وسلم بسنوات خمس . واتفق أن كان مولدها فى السنة التى قبلت فيه قريش تحكيم أبيها فى وضع الحجر الأسود، بعد أن وقع الخلاف بين قريش . فرأى فى ذلك صلى الله عليه وسلم البشرى ، وأيقن باليمن والبركة ، واحتفل بمولدها على نحو غير معهود . وكانت طفولتها سعيدة هانئة ، فقد كانت ريحانة والديها ، وكانت أخواتها تحبها الحب كله ، ولما تزوجن حزنت لفراقهن كل الحزن ، وبذلك يقوم الدليل على فرط محبتها لهن . واتفق أن طلب يدها أبو بكر وعمر

(٢٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص٤٨ (ليدن ١٨٨٣م) .

رضى الله عنهما ـ إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم ردهما فى لين ورفق، ولكن أصحاب على رضى الله عنه زينوا له خطبة فاطمة الزهراء لقرابته من أبيها، ورفعة منزلته عنده. وتقدم لخطبتها، فرحب النبى صلى الله عليه وسلم قائلا: «مرحبا وأهلا».

ولم تكن الزهراء فى بيت الزوجية مترفة، تتقلب فى أعطاف النعيم، بل كانت متقشفة قانعة بالقليل مما يقوم برهانا على تقواها. ولما وضعت الحسن رضى الله عنه فى السنة الثالثة من الهجرة فقرت بذلك عين أبيها صلى الله عليه وسلم وحمل الوليد وتلا الأذان فى أذنه.

واحتفلت مدينة الرسول بمولد الحسن، وبعد عام وضعت شقيقه الحسين، فسعد به جده. وقد أسبغ الله تعالى نعمة ما بعدها نعمة فكان فى ولديها الحسن والحسين ذرية نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. ولقد سأل علىّ ـ كرم الله وجهه ـ صهره النبى ذات مرة متلطفا: أيهما أحب إلى رسول الله، ابنته الزهراء، أم زوجها علىّ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «فاطمة أحب إلىّ منك، وأنت أعز علىّ منها»(٢٣).

كان صلى الله عليه وسلم يحبها لأنها التى بقيت من ولده، وانتقل إلى الرفيق الأعلى فى حياتها، ولذا كان يقول: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». كما قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى».

ولقد أدركها الموت عام إحدى عشرة للهجرة، وهى ابنة تسع وعشرين سنة (٢٤).

ومما أسلفنا ذكره يتوضح لنا علو قدرها ورفعة شأنها رضى الله عنها.

وعاد أحمد رضا إلى ذكر الرجال، فذكر الإمام الحسن رضى الله عنه فقال: إنه كان سخيا جزيل العطاء، كما أن جده صلى الله عليه وسلم كان له محبا مدللا مقبلا.

ولما بويع بالخلافة بعد استشهاد أبيه قام فى الناس خطيبا يقول: «نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون وأهل بيته الطاهرون الطيبون، فأطيعونا، فإطاعتنا مفروضة، إذا كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة»(٢٥).

إلا أن خلافته لم تطل، فقد تخلى أهل العراق عنه، فتنازل عن الخلافة حقنا لدماء

---

(٢٣) دكتورة عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة، ص ٥٧٣ ـ ٦٤٢ (القاهرة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨).

(٢٤) دكتور عبد الحسيب حميدة، أدب الشيعة، ص١٦٥ (القاهرة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م).

(٢٥) المسعودى، مروج الذهب، ج٢، ص٤٢.

المسلمين عام ٤١ هـ، ودخل معاوية الكوفة، حيث أخذت له البيعة بحضور الحسن والحسين، ثم مضى الحسين إلى المدينة وهناك لزم داره إلى أن توفاه الله، وقيل إنه رضى الله عنه مات مسموما.

وينتقل شاعرنا إلى الحسين رضى الله عنه، فيجعله شهيد البلاء وهو فى ذلك متأثر من تسمية كربلاء من كرب وبلاء التى دارت فيها رحى القتال بين الحسين وجيش يزيد، ودارت الدائرة على الحسين لأن أهل العراق خذلوه وانفضوا من حوله، وإن أدركهم الندم من بعد وتابوا من ذلك وأنابوا فعرفوا بالتوابين والبكائين.

وكانت واقعة كربلاء سبيلا فى نشأة فن من الشعر فى العربية والفارسية والتركية والأردية، وهو شعر مراثى آل البيت، وقد دارت هذه المعركة سنة إحدى وستين للهجرة.

وتحدث الشاعر عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ولكن فى إشارة لامحة فقال سلام عليه فى النجف حيث مرقده الشريف.

لقد أسلم كرم الله وجهه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل أربع عشرة وقيل ستة عشرة سنة، وهو أول من صلى مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعنه كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «يا علىّ إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدى».

وعن عائشة رضى الله عنها سئلت أى الناس أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: «فاطمة»، فقيل من الرجال، قالت: «زوجها، إن كان ما علمت صواما قواما»، وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علىّ منى بمنزلة رأسى من جسدى». وعن سعد بن أبى وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى»، ومما يؤكد علو منزلته رضى الله عنه عند النبى أنه اختاره لإعطائه الراية يوم فتح خيبر ليفتحها، وفى ذلك يقول سهل بن سعد رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه. قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علىّ بن أبى طالب» قالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله. قال: «فأرسلوا إليه»، فلما جاء بصق فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية، فقال علىّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال ابتدأ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب

عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٢٦].

وهذا من قواطع الأدلة على إيثار النبى له وثقته به.

وينعطف أحمد رضا بالكلام من بعد نحو السيدة خديجة رضى الله عنها، فأرشد إلى موقفها من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف ساندته وعضضته وكانت أول من آمن به من النساء. وقيل أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى وقال: «إن الله عز وجل يقرأ عليها السلام».

وكيفية الحال فى ذلك أن نبى الهدى تزوجها قبل البعثة، وقد اختارها زوجة عروبا لحكمتها ورأيها السديد. وكان من نعمة الله على النبى أن هيأ له أن يتزوج السيدة خديجة لصالح الدعوة الإسلامية وحسبنا أن نشير إلى أنها كانت أول من آمن به.

ولما جاء جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم فى غار حراء، رجع إلى زوجه وقد خفق فؤاده. ولما دخل عليها قال: زملونى زملونى، إلى أن ذهب عنه الروع وأحس بسكون نفسه بعد أن دخلتها الخشية، فأخبرها الخبر وقال لها: لقد خشيت على نفسى، فقالت له: أبشر، كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق..» وهذا من كلامها جاء فى الصحيحين.

وكان صلى الله عليه وسلم يؤثرها ولا يؤثر عليها. لقد طالت العشرة بينه وبينها خمسة وعشرين عاما، منها خمسة عشر عاما قبل البعثة، وعشر سنين بعدها، ورزق منها جميع ولده ما عدا إبراهيم[٢٧].

والترتيب بعد ذلك على السيدة عائشة رضى الله عنها، وأول ما يخطر على البال من أمرها أن النبى فقد بفقده عمه أبى طالب وزوجته خديجة رضى الله عنها، ركنين كان يستند إليهما، ولكن الله عوضه وأيده فوقع فى قلبه حب أبى بكر الصديق وابنته عائشة رضى الله عنهما، فأصبحت زوجته العروب الطاهرة.

كانت رضى الله عنها من أشد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم حدة ذكاء وأكثرهم حديثا ترويه عن سيد المرسلين، وكانت واسعة العلم بأمور الدين، ويؤيد ذلك ما

(٢٦) المحب الطبرى، الرياض النضرة فى مناقب العشرة، ج١، ١٥٣-١٨٤ (القاهرة).

(٢٧) محمد على الصابونى، شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، ص٣٤: ٣٧ (مكة المكرمة).

يروى من قوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء».

وبلغ من سمو منزلتها أن جبريل عليه السلام كان يقرأ عليها السلام، وهو بذلك يختصها به دون غيرها. وهذا ما ذكره أحمد رضا فى السلامية..

وشاعرنا يذكرنا بما قال ميزة خاصة لعائشة.

وروى أبو موسى رضى الله عنه قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما»[٢٨].

رجاء بعد ذلك ذكره لشهداء بدر والعشرة المبشرين بالجنة.

قال صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن ابن عوف فى الجنة، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة عامر بن الجراح فى الجنة، رضى الله عنهم أجمعين».

قال الحافظ بن حجر العسقلانى فى العشرة المبشرين بالجنة:

لقد بشر الهادى من الصحب عشرة
بجنات عدن كلهم قدره على
عتيق سعيد سعد عثمان طلحة
زبير ابن عوف عامر عمر على

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل عائشة رضى الله عنها فقال: يا عائشة ألا أبشرك. قالت: بلى يا رسول الله، فقال: أبوك فى الجنة ورفيقه إبراهيم، وعمر فى الجنة، ورفيقه نوح، وعثمان فى الجنة، ورفيقه أنا، وعلى فى الجنة، ورفيقه يحيى بن زكريا، وطلحة فى الجنة، ورفيقه داود، والزبير فى الجنة، ورفيقه إسماعيل، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، ورفيقه سليمان، وسعيد بن زيد فى الجنة، ورفيقه موسى بن عمران. وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، ورفيقه عيسى بن مريم، وأبو عبيدة عامر بن الجراح فى الجنة، ورفيقه إدريس عليه السلام. ثم قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة أنا سيد المرسلين وأبوك أفضل الصديقين وأنت[٢٩] أم المؤمنين.

(٢٨) محمد محمود الصواف، زوجات النبى الطاهرات، ص٢٩-٣١ (القاهرة ١٩٧٩م).

(٢٩) دكتور سيد الجميلى، العشرة المبشرون بالجنة، ص٨، ٩، ١٨، ٢٠ (بيروت ١٩٨٨م).

وفى هذا ما فيه من وضوح الدلالة على ما لهؤلاء من رفعة المنزلة .

ومن مستطرف ما يعرف فى شبه القارة الباكستانية الهندية أن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف يبدأ ويختتم بإنشاد أبيات من السلامية ، كما أن النساء بمناسبة المولد النبوى وبمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى يجتمعن فى بيت إحداهن ليشنفن الأسماع بإنشاد من تنشد السلامية بصوت بلبلى ، وذلك فى كل ما وسعت المدن والقرى من أحياء .

وينتقل بنا أحمد رضا إلى ذكر أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

هو أبو بكر بن أبى قحافة ، أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقب بالعتيق لعتقه من النار ، وقيل لحسن وجهه ، وقالت السيدة عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم : «أبو بكر عتيق الله من النار» .

وأجمعت الأمة على تسميته صديقا لأنه أول من بادر بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزم الصدق .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر الرسول :

إذا تذكــرت شــجــوا من أخى ثقــة
فــاذكــر أخــاك أبا بكر بما فــعــل
خــيــر البــرية أتقــاها وأعــدلهــا
بعــد النبى وأوفــاها بما حــمــلا
والثــانى التــالى المحــمــود مشــهــده
وأول الناس قدمــا صــدق الرسـلا [٣٠]

وتولى أبو بكر بعد الرسول سنة اثنتى عشر من الهجرة واتفق أنه ارتد بعد الأعراب فوعظهم إلا أن الموعظة لم تجد معهم ، فجهز إلى كل طائفة منهم جيشا ، فتوجهت الجيوش إليهم وقاتلتهم ، وكانت الغلبَة للجيوش الإسلامية ، كما جهز جيوشا لفتح الشام غير أنه توفى عام ثلاث عشرة من الهجرة وما زالت رحى القتال دائرة [٣١] .

وبذلك يكون أبو بكر وطد دعائم الإسلام وبدأ ينشره فى الآفاق .

وأحمد رضا يلتفت من بعد إلى عمر بن الخطاب فيجعله تقيا ورعا ، ويقول إنه كان صاحب مشورة أبى بكر وذلك لرجاحة عقله وسداد رأيه .

(٣٠) محمد رضا ، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، ص٨ : ١٠ (بيروت ١٩٨٣) .

(٣١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٥٢ ـ ٥٤ (القاهرة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧م) .

ويقول التاريخ إن النبى صلى الله عليه وسلم لقبه بالفاروق لأنه كان عدلا يحكم بالقسطاس المستقيم ، ويفرق بين الحق والباطل ، وبه أعز الله الدين الحنيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط ، إلا سلك فجا غير فجك» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه» .

وكان عمر رضى الله عنه شديدا فى الحق قويا على أعدائه ، وبلغ من فضله أنه فى مواطن عدة كان الآخرون يدلون بآرائهم ، ثم يبدى هو رأيا مغايرا ، فكان ينزل القرآن موافقا لرأيه هو [٣٢] .

وشاعرنا أحمد رضا يقول إن رأيه مشبه لقول النبى ، كما أنه عدل منقطع النظير فى عدله .

والنقلة بعد ذلك إلى عثمان بن عفان الذى سماه أحمد رضا ، عابدا زاهدا فى النعم ، وهو مثال الكرم ، جمع كتاب الله . ثم يصف استشهاده .

سمى بذى النورين لأنه تزوج بابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يسبق أن تزوج أحد ابنتى نبى من قبل .

كان عثمان رضى الله عنه دمث الخلق طيب النفس ، سمحا ، جم التواضع والحياء ، كما كان صواما قواما ، وقد اتسعت الدولة الإسلامية على عهده فى الفتوح ، وهو الذى أرسل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنها لتسلم ما عندها من صحف القرآن لنسخها فى المصاحف ، فتسلمها منها وأمر بنسخها فى المصاحف .

وأهل السنة تجتمع كلمتهم على أن قاتليه إنما قتلوه ظلما ، ومن استحل دمه فقد كفر [٣٣] .

أما على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فشاعرنا يستغيث به على أنه شجاع خواض غمرات ، كما أنه له الدرجة ، لأنه فى الجنة يطوف بالماء على من يريدون شربه ، وبين كيف حارب الروافض ، والخوارج ، ورد عاديتهم ، ومن شجاعته وقوته أن حمل باب خيبر .

وتبدو القربى بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم لعلى : «أنت منى وأنا منك» .

(٣٢) دكتور سيد الجميلى ، العشرة المبشرون بالجنة ، ص٤٩ ، ٥٦ (بيروت ١٩٨٨م) .

(٣٣) محمد رضا ، عثمان بن عفان ، ص١٩٧ (بيروت ، ١٩٨٢م) .

وقالت أم سلمة رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا يحب على منافق لا يبغضه مؤمن» .

كان فارسا مغوارا ، كما كان قوى الحجة ذرب اللسان ناصع البيان . وفى خلافته عنى برعيته فسن قانونا لولاته وعماله على المسلمين وقيل فى وصفه ، إنه كان علم الهدى وكهف التقى ، ومحل الحجى ، وبحر الندى ، وطود النهى ، وكهف العلى ، كان متمسكا بالعروة الوثقى ، خير من آمن واتقى [34] .

ثم يقول أحمد رضا إن الله حما أهل البيت رضوان الله عليهم من أعدائهم الذين أطالوا عليهم اللعن بألسنتهم حدادا .

ويشير أحمد رضا بعد ذلك إلى الإمام على الملقب بزين العابدين السَّجاد كذلك أصغر أبناء الإمام الحسين رضى الله عنهما ، والرجل الوحيد الذى بقى حيا من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الذين شاهدوا معركة كربلاء ، حيث كان مريضا مقعدا ، فما قاتل ، وعده الشيعة إمامهم الرابع ، ولقب بالسجاد لفرط تقواه ، وكان كثير السجود ، كما كان مشهودا له بالزهد والورع .

قيل لما رجع من الشام مع السبايا إلى العراق زار قبر أبيه الحسين فى كربلاء ، فبكى عليه بكاء مرا [35] .

ويذيل منظومته بذكر الأئمة الأربعة رضى الله عنهم وهذا فيه الدلالة على أن أحمد رضا يسترسل على سجيته ، وأى عجب فى ذلك ، وهو ذلك الفقيه الإمام .

إنه كان حسبه أن يشير إليهم فى لمحة دالة ، وخاصة أنهم أعرف من أن يعرفوا ، والإشارة إليهم نافلة لأنها بعد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته .

كما أشار إلى المتصوفة ، وهم كثر ومنهم : عبد القادر الجيلانى الذى أشرنا إليه من قبل فى سيرة أحمد رضا . كما لم يفته ذكر شيخيه وهما آل الرسول وحفيده أحمد النورى الذى أخذ عنهما وسمع منهما ، وإنما ذكرهما على سبيل الوفاء لذكراهما عنده ، ومنزلتهما فى نفسه ، وإقراره بفضلهما عليه .

ثم يصل بمنظومته إلى خاتمتها بالتوسل بالدعاء وكأنما شاء أحمد رضا خان أن يغمر منظومته جو دينى روحى ، وكانت أفكاره تتداعى من فكرة دينية إلى أخرى ، ومن ذكر إمام

---

(34) دكتور سيد الجميلى ، العشرة المبشرون بالجنة ، ص116 (بيروت 1988م) .

(35) إبراهيم الحيدرى ، تراجيديا كربلاء ، ص94 ، 149 ، 317 ، (بيروت 1999م) .

قطب من أقطاب الدين إلى قطب آخر ، وبذلك كانت عناصر منظومته متجانسة متطابقة .

وثمة ملحظ له ما له من أهمية ذلك أن الباكستانيين يسمون مدحة مولانا أحمد رضا بردة المديح النبوى فى اللغة الأردية ، وهذه التسمية باعثا على عقد مقارنة بين المدحتين .

وأول ما يجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد هو التسمية بمنظومة أحمد رضا تحت عنوان السلامية ، نسبة إلى تكرار كلمة السلام ، وهذا التكرار كما أسلفنا له وقعه فى المبنى ، لأنه يحيط المنظومة بهالة روحية ونشوة تطيب بها العقول المتدبرة والنفوس المؤمنة العامرة بمحبته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات .

أما قصيدة البوصيرى المسماة بـ «نهج البردة» نسبة إلى بردة النبى صلى الله عليه وسلم وتفصيل الكلام فى هذا أن البوصيرى ضربه الفالج الذى أبطل نصفه فقام فى نفسه أن ينظم قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستشفع بها إلى الله تعالى رجاء أن يمسح ما به من وجع ، وكرر إنشاد تلك القصيدة . ورأى فيما يرى النائم كأن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم مسح بيده الشريفة على وجهه ، وألقى عليه برده . وانتبه فرأى أنه عوفى من الفالج . فاستطاع أن ينهض من فراشه ويخرج من داره فلقيه أحد الفقراء وطلب إليه أن يعطيه القصيدة التى مدح بها سيد الخلق ، فقال له : أى قصيدة ، فقال : التى قلتها وأنت طريح فراش المرض وذكر استهلالها ، وقال له : إنه سمعها وهى تنشد بين يدى الرسول صلوات ربى وسلامه عليه ، وقد أعجبته ، وألقى على من أنشده إياها برده . ثم تابع البوصيرى قوله : فذكر أنه أعطاه تلك القصيدة ، وشاع خبر الرؤيا التى رآها فى الناس [36] . ويستبين لنا من ذلك أن البوصيرى بتسميته لقصيدته بالبردة ذكر السبب وأراد المسبب .

وليس الشأن كذلك عند أحمد رضا ، فنحن لا نعرف سببا لنظمه ما نظم إلا فرط محبته لرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نذر عمره لمدحه ، وبذلك عرف كأشهر من مدح سيد المرسلين .

والبوصيرى نسبة إلى أبو صير ، فقد كان أحد أبويه من تلك القرية ، وهى قرية من أعمال بنى سويف بصعيد مصر ، ومات بالإسكندرية عام 697هـ وقبره مزار مشهور . وهو شاعر مصرى يميل فى شعره إلى الدعابة . وفى شعره ذكر لأوضاع المجتمع من حوله وفساد

---

(36) د. زكى مبارك ، المدائح النبوية فى الأدب العربى ، ص147 ، 148 .

ذمة موظفى الدولة . . كما يشير إلى جفوة وقعت بين الأقباط والمسلمين فى أيامه .

أما أحمد رضا ، فكان رجل دين بتمام المعنى ، وقد شغله اهتمامه بالدين وطلبه عمره عن أن يكون شاعرا يصف الأوضاع فى مجتمعه اللهم إلا إشارة لامحة منه إلى ظلم المستعمرين ، كما هجا زعماء الهندوس ، وهذا من كلامه له طابع سياسى واضح .

والبردة تقع فى اثنين وثمانين ومائة بيت . أما السلامية ففى واحد وسبعين ومائة بيت .

والبوصيرى يستهل قصيدته بالنسيب ، أما أحمد رضا فيدخل على المدح دخولا مباشرا حتى إن بعضهم فى باكستان يسمون منظومته بمطلعها وهو قوله : مئات ألوف التسليمات على المصطفى روح الرحمة .

ولا ضير فى هذا المقام أن نحتكم إلى تذوقنا فنقول إننا أميل إلى صنيع أحمد رضا ، لأنه أدخل فى روحانية منظومته وأخلق بإعظام وإجلال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان النسيب لا يضر البردة شيئا ، ولكن لكلٍ تذوقه على نحو خاص به .

كما أن فى البردة القول فى الحكمة والترغيب فى التقوى ، والدعوة إلى أخذ الحذر من اتباع الهوى والسير فى خطا الشيطان .

ثم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يشر إلى شمائله ، أما أحمد فجمهرة أبيات قصيدته فى الشمائل النبوية .

كما أن البوصيرى يتحدث فى مولد الرسول ويروى ما يرويه التاريخ من أن إيوان كسرى تصدع ، وأن نار الفرس خمدت ، وأن بحيرة ساوة غاضت ، ولكن أحمد رضا لم يشر إلى هذا .

ومما يقوم به الدليل على منزلة بردة البوصيرى فى نفوس أهل شبه القارة ما ذكره الأستاذ ظهور أحمد أظهر الذى يقول : «إن ميمية الإمام البوصيرى التى عرفت واشتهرت بقصيدة البردة شغلت أذهان الجهابذة الأعلام وأقلامهم عبر العصور . وتركت تأثيرا بالغا فى نفوس الأجيال القادمة من شعراء اللغة العربية فى كل مكان . ذلك راجع إلى ما أشارت إليه قصيدة البوصيرى من دقة اللفظ ورقة المعنى والحب الصادق ، وأنها تثير عواطف المؤمنين والمحبين . . فمن أهل العلم من شرح القصيدة وتفسيرها فى شتى اللغات ، ومنهم من ترجمها إلى لغات الشعوب الإسلامية شعرا ونثرا ، ومنهم من نظموا القصائد على غرارها . وهذا الاهتمام البالغ بهذه القصيدة الرائعة التى مدح بها البوصيرى النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يزال يزداد ويمتد ، وسيظل كذلك إلى آخر الدهر . وقد اشتغل علماء

اللغة العربية فى شبه القارة بدراسة البردة وشرحها ، وترجمتها إلى اللغات المحلية . كما أن شروحها كثيرة متنوعة ، وهى فى العربية ، والفارسية ، والبنجابية ، والبشتو ، والسندية ، والبنغالية ، وغيرها [٣٧] .

وهذا ما يذكر بأن المنظومة السلامية كان لها من الشهرة والسيرورة فى شبه القارة ما يشبه ما للبردة .

ويترتب على ذلك فى الفهم ، أن المدحتين تتكاملان ، وتتشابهان فى أكثر من وجه للشبه .

ومن تتمة القول فى عناصر المدحتين أن الأبيات الأواخر من البردة ظهر فيها التصوف ، وليس كذلك فى المنظومة السلامية .

وفى الأبيات الأواخر من البردة يتكرر ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والتوسل به ، ولكن أحمد رضا لا يكرر الاسم الشريف ، وإنما يكرر السلام ، كما أن أحمد رضا يذكر بعض الصحابة أقطاب الصوفية ، وليس كذلك فى بردة البوصيرى .

والكلمة الخاتمة فى شأن المنظومة السلامية أنها مع بردة الإمام البوصيرى تشكل كيانا قائما مرموقا لمدح سيد المرسلين ، عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام . ولله نحمد أن يسر لنا أن نجمع بينهما فى دراسة واحدة مستوعبة . ونخال أننا بذا عقدنا صلة روحية موصولة بين المسلمين تقوم أساسا على الدين القويم ومدح نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

(٣٧) جمال بن نصير الجنابى ، شرح قصيد البردة للبوصيرى ، ص١ (لاهور ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

١. سلام على سادة الأنبياء
نبي الهدى [illegible][1]
(عليه الصلاة عليه السلام)

٢. سلام [illegible] على [illegible]
ويمشي [illegible] على ظهره[2]
(عليه الصلاة عليه السلام)

٣. عليك [illegible]
[illegible] تلك من ذا حرم[3]
(عليه الصلاة عليه السلام)

٤. سلام على من سرى في الظلام
له في الجنان [illegible] المقام[4]
(عليه الصلاة عليه السلام)

ومن طيب الأرض كالمسك كان
(عليه الصلاة عليه السلام)

٦. صلاة على نور عين الكمال
سلام على الطهر بل والجمال
(عليه الصلاة عليه السلام)

٧. سلام على الصبر في حكمته
ومن جاهد الكفر في ملته[5]
(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾.
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

١ ـ سـلام على صـفـوة الأنبـيـاء
نبى الهـدى رحـمـة للسـمـاء[١]
(عليـــه الصـلاة عليـــه الســلام)
٢ ـ ســـــلام ينيــــر علـى بدره
ويـنـفـح عـطـرا عـلـى زهـره[٢]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســلام)
٣ ـ مـليك إرم وهـذا الحـــــرم
شـفـاعـتـه تلك من ذا حـرم[٣]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســلام)
٤ ـ سلام على من سرى فى الظلام
له فى الجنان رفـيـع المقـــام[٤]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســلام)
٥ ـ صـلاة على من له العـرش زان
ومن طيب الأرض كـالمسك كـان
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســلام)
٦ ـ صـلاة على نور عين الكمـال
سـلام على الطهـر بل والجمـال
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســلام)
٧ ـ سـلام على السرو فى حكمتـه
ومن جـاهد الكفـر فى منتـه[٥]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســلام)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾.
(٣) إشارة إلى ما يروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه سجد سجدة فأعطاه ثلث أمته ثم سجد الثانية فأعطاه ثلثها الآخر ثم سجد فأعطاه أمته كلها، وأنه لن يحرم موحد شفاعته صلى الله عليه وسلم.
(٤) سرى: سار ليلا، والمراد هنا الإسراء.
إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾.

٨ ـ صلاة على السر فى وحدته
ومن كان كالقطب فى كثرته [٦]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٩ ـ له انشق بدر وردت ذكاء
ومن قدرة الله منه رماء [٧]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٠ ـ يلوذ به الناس يوم الجزاء
فطوبى له إن هذا سناء [٨]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١ ـ من العرش والفرش ما قد ملك
كذا الإنس والجن من غير شك

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢ ـ هو الأصل حقا لكل البشر
وكنزا عليهم جميعا نثر [٩]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٥) يشبه شجرة السرو مستقيمة . ويشبه استقامته وصحة حكمته باستقامتها .

المنة : القوة ، أى أنه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار بقوته الجسمانية والروحية . وقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم .

(٦) وكان صلى الله عيه وسلم على أتم ما يكون من عبادته ، وكان ذلك سرا وعلانية ، وهو الذى يستمد من فعله كل العارفين بالله .

(٧) يقول إن القمر انشق له صلى الله عليه وسلم ، كما أن العمامة ردت عنه حر الشمس .

ذكاء : بمعنى الشمس .

كما يشير إلى إن الملائكة حاربت مع المسلمين فى بدر ، فكأن الملائكة هى التى رمت بقدرة الله . فهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

(٨) يقول إن آدم والأنبياء ـ عليهم السلام ـ تحت لوائه يوم القيامة .

طوبى له : كل الخير له .

السناء : الرفعة .

(٩) يشير إلى حديث جاء فيه : «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» .

وقد بعث صلى الله عليه وسلم رسولا للعالمين فأمنت به الإنس والجن ، ودليل ذلك قوله تعالى : =

١٣ ـ وباب النبوة من قد فتح
ومن بعده بابها ما فتح

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤ ـ صلاة ونور على نوره
ويبدو التقرب فى زهره

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥ ـ عديم النظير عديم القرين
وجوهر فرد كما يستبين [١٠]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦ ـ صلاة على سرغيب الهدى
سلام على من انتهى أو بدى

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٧ ـ ولاهوته قمر المنتدى
وكان لناسوته سيدا [١١]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٨ ـ صلاة على كنز كل فقير
وكل به دائما يستجير

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٩ ـ ومن أظهر اسما لهذا الأحد
سلام عليه بغير عدد [١٢]

(عليه الصلاة عليه السلام)

= ﴿وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن﴾ ، حتى قوله تعالى : ﴿يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به﴾ .

(١٠) إشارة إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» .

(١١) هيولى : عند أهل الله اسم الشىء تظهر فيه الصور وكل باطن تظهر فيه صورة .

ناسوت : الجنس البشرى .

(١٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

٢٠ ـ لكل سعاداتنا مطلع
لكل سياداتنا منبع

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢١ ـ ألا إنه من يغيث البشر
ويوم الجزاء بعدل أمر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٢ ـ ألا إنه للفقير الثراء
شديد القوى كان للضعفاء

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٣ ـ ولى مجلس إنه فى «دنى»
أنا فى «الهوية» دعنى أنا [١٣]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٤ ـ وما كان فرق وجمع معا
وفى وحدة كثرة جمعا

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٥ ـ على كثرة قبلها قلة
وعز أتت قبله ذلة

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٦ ـ من الرب حامل طيب الكلام
على منة الله ألف السلام [١٤]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(١٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.
الهوية: بمعنى الذات المطلق.

(١٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾.
المنة: النعمة.

٢٧ ـ صلاة عليه من البائسين
سلام على نشب المعسرين [١٥]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٨ ـ وللمؤمن الموقن القلب سر
وحقد عليه لمن قد كفر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٩ ـ ألا إنه كان كل سبب
ومنى السلام عليه وجب [١٦]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٠ ـ الا إنه مظهر للظهور
كما أنه مظهر للصدور [١٧]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣١ ـ تفتح زهر لدى رؤيته
هو الورد طهرا وفى نبتته [١٨]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٢ ـ وظل له مرة ما ظهر
لرحمته الظل ملء البصر [١٩]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٣ ـ يحوم عليه حمام الغمام
يحيى ويمضى عليه السلام

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(١٥) نشب: المال والغنى.

(١٦) إشارة إلى حديث يقول: «لولاك لما خلقت الأفلاك» أى أنه سبب الوجود.

(١٧) يقول الصوفية إن الإنسان مظهر لصفات الله تعالى.

(١٨) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وتقلبك فى الساجدين﴾.

(١٩) أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل.

٣٤ ـ على وجهه لاح حسن الإله
بهذا تميز منه بهاه

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٥ ـ لكل الملوك انحناء لهام
لرأس النبى عليه السلام[٢٠]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٦ ـ ومن شعره غيمة للكرم
ومن شعره المسك دوما فغم[٢١]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٧ ـ وليلة قدر بدا فجرها
ومن مفرق ساطع نورها[٢٢]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٨ ـ وكم من قلوب كواها الأسى
أساها ألا نعم من قد أسى[٢٣]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٩ ـ قريب بعيد به المخبر
فيا حبذا ذلك الجوهر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٠ ـ سلام على الرائف الراحم
سلام على أصله الهاشمى[٢٤]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٢٠) الهام : جمع هامة ، والهامة : الرأس .

(٢١) فغم العطر : ملىء الأنف .

(٢٢) يشبه شعره صلى الله عليه وسلم بليلة القدر ويقول إن مفرقه هو فخرها .

(٢٣) أسى : عزى .

(٢٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ .

٤١ ـ وتاج الشفاعة زين الجبين
سلام على سيد الشافعين

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٢ ـ لحاجبه قبلة تنحنى
فمحرابها دائما ينثنى[٢٥]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٣ ـ ظلال لجفن على عينه
لرحمته تلك أو منه[٢٦]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٤ ـ صلاة على عينه الباكية
بدمع الشفيع هى الجارية[٢٧]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٥ ـ وفيما رأى كل صدق نطق
وحول عظيم لديه انبثق[٢٨]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٦ ـ وفى كل أرض بعين نظر
فلطف الإله عليها انهمر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٧ ـ حياء به غض طرفا حياء
وفى الأنف معنى لكل الإباء

(عليه الصلاة والسلام)

---

(٢٥) المراد بالقبلة هنا محرابها الذى يدل عليها .

(٢٦) المن : الإنعام .

(٢٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ .

(٢٨) المراد ما رأى فى الإسراء .
الحول : القوة والقدرة . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ .

٤٨ ـ وكم حجة هى بهر القمر
لها النور فى الخافقين انتشر (٢٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٩ ـ وخد أسيل عليه السلام
سلام على روعة للقوام (٣٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٠ ـ ببشرته كم أنارت قلوب
ومنا السلام عليها وجوب

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥١ ـ من الوجه أين جمال القمر
سلام عليه لكل البشر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٢ ـ ندى روضة الحق هذا النضيح
سلام على حسن هذا المليح (٣١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٣ ـ سلام على الخط حول الجبين
لخضرة عشب لماء معين (٣٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٢٩) بهر القمر : أضاء حتى غلب ضوؤه ضوء الكواكب.
الخافقين : الشرق والغرب.
(٣٠) خد أسيل : لين طويل.
(٣١) النضيح : العرق.
(٣٢) الخط : فى الشعر الصوفى تعينات عالم الأرواح. والخط الأخضر : هو البرزخ، وفى غير المصطلح الصوفى بمعنى ما على العارض من شعر خفيف وهو من صفات الجمال.
والجبين : فوق الصدغ : وللوجه جبينان، ولكن المراد هنا العارضان وهما جانبا الوجه.
الماء المعين : الماء الجارى.

٥٤ ـ ألا يالها لحية ترسم
لجرح القلوب هى البلسم (٣٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٥ ـ وفى شفة ذاك ورد رقيق
هو الطهر بالطهر هذا يليق

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٦ ـ بوحى الإله فم ناطق
بقول نبى الهدى لائق (٣٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٧ ـ وروح به إنها تسعد
صلاة على حسنه تحمد

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٨ ـ أجاج من الماء يحوى قليب
سلام على الماء حلوا يطيب (٣٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٩ ـ لسان له كان مفتاح «كن»
وغير الذى قاله لم يكن

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٠ ـ سلام عليه فصيح فصيح
وما قال قول مليح مليح

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٣٣) المراد باللحية التى ترسم : اللحية الجميلة التى تجدر برسمها.
البلسم : دواء تضمد به الجراحات.
(٣٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لا ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى﴾.
(٣٥) يروى أنه صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر انقطع ماؤها ففار ماؤها عذبا.
الأجاج : الماء الذى تغير طعمه.
القليب : البئر.

٦١ـ حديث يقول عليه السلام
على خطبة قالها للأنام [٣٦]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٢ـ ويدعو دعاء وشيك القبول [٣٧]
سلام سلام على ما يقول

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٣ـ سلام على الثغر فيه الدرر
لها النور نور إذا ما غمر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٤ـ وما من بكاء إذا ما ابتسم
لمن قلبه رازح تحت غم [٣٨]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٥ـ حلاوة شهد له في لهاه
فيا عجبا ذاك صنع الإله [٣٩]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٦ـ على كتف سمة للشرف
سلام عليها وكل عرف [٤٠]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٧ـ له خاتم إنه قد ظهر
لكعبة روح كذاك الحجر [٤١]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٣٦) الأنام : الناس .

(٣٧) وشيك : قريب .

(٣٨) رازح تحت غم : أثقله الحزن .

(٣٩) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والمراد هنا الحلق .

(٤٠) السمة : العلامة .

(٤١) الإشارة إلى خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم ويشبه بالحجر الأسود فى كعبة الروح .

٦٨ـ بلا رؤية كل شئ درى
سلام على منقذ للورى [٤٢]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٩ـ جواد جواد جزيل العطاء
سلام على أكرم الكرماء [٤٣]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٠ـ بدارين ينصب للأمة
ويذكرها قائلا أمتى [٤٤]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧١ـ عماد لدين له ساعدان
ببيت لرب هما قائمان

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٢ـ خطوط بكف تموج بنور
كبحر خضم بنور يمور [٤٥]

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٣ـ أصابع منها عيون جرت
سلام عليها إذا ما روت [٤٦]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٤٢) درى : عرف . وعند الصوفية أن العلم اللدنى هو ما يتلقاه العبد إلهاما من دون اجتلاب ولا اكتساب . ولكن يقذفه الله نورا فى قلبه .

الورى : الناس .

(٤٣) كان صلى الله عيه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة .

(٤٤) الدارين : الدنيا والآخرة وقد كان صلى الله عليه وسلم فى الدنيا دائم الاستغفار لأمته ، وهو فى الآخرة يشفع لها عند الله عز وجل .

ينصب : يتعب .

(٤٥) يمور : يتلاطم موجه .

(٤٦) يشير إلى تفجر الماء من بين أصابعه الشريفة .

٧٤ـ أنامل فيـهـا هلال لعيـد
برؤيتـه كل قلب سـعـيـد [٤٧]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٧٥ـ ورب له ذكـره قـد رفع
وجـانب صـدر له قـد قطع [٤٨]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٧٦ـ هو القلب لا العقل ما يرشد
وسـر الإله بنا يوجـد [٤٩]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٧٧ـ قنوع فـمـا رغـبـة فى نشب
وتلك القناعـة شيء عـجب [٥٠]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٧٨ـ وأنقض ظهـرا بما قـد حـمل
فـعبء الشـفـاعـة لا يحـتـمل

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٧٩ـ وكل نبى جـثى عنده
وفى نهـجـه سـائر بعـده [٥١]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٨٠ـ وساق بدت مثل أصل الكرم
تنير الصراط كشمع الضرم [٥٢]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

---

(٤٧) يريد بهلال الأنامل : أظافره صلى الله عليه وسلم.

(٤٨) يشير إلى شق صدره صلى الله عليه وسلم. كما أنه عليه الصلاة والسلام قد خاطبه ربه قائلا فى سورة الشرح : ﴿ألم نشرح لك صدرك* ووضعنا عنك وزرك* الذى أنقض ظهرك* ورفعنا لك ذكرك﴾.

(٤٩) أى أنه يوجد سر الإله فى قلوبنا.

(٥٠) النشب : المال والثراء.

(٥١) جثا : قعد على ركبته. النهج : الطريق.

٨١ـ بما داسـه فى الكتـاب القسم
سلام على كعب تلك القدم [٥٣]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٨٢ـ بليلة سـعـد أنار الظلام
سـلام عليهـا وألف سـلام [٥٤]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٨٣ـ وسـجـدته تلك منذ الأزل
على ذكـر أمـتـه لم يزل [٥٥]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٨٤ـ سلام على الضرع وهو الحلوب
رضاع عليه السلام وجوب [٥٦]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٨٥ـ وعند الرضاع لمن يرضعون
تنحى لمن مـثله ينعـمـون [٥٧]

(عليــه الصـلاة عليــه السـلام)

٨٦ـ ويا سعد حضن يضم الرسول
سلام على النجم يأبى الأفول [٥٨]

(عليــه الصـلاة والسـلام)

---

(٥٢) الصراط هنا هو الصراط المستقيم، وساقه صلى الله عليه وسلم تنيره شمعا مضيئة. الضرم : النار.

(٥٣) المراد بما داسه : ما وطئه قدمه من تراب. والإشارة إلى ما جاء بالقسم بالبلد التى داس صلى الله عليه وسلم ترابها وذلك فى سورة البلد.

(٥٤) يريد الليلة التى ولد فيه صلى الله عليه وسلم.

(٥٥) الإشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عقب ولادته.

(٥٦) يشير إلى أنه صلى الله عله وسلم حين مضى إلى دار حليمة السعدية أضرت ضروع النياق اللبن بعد أن انقطعت عن الإدرار.
والرضاع : الإشارة إلى السيدة حليمة التى أرضعته.

(٥٧) قيل إنه صلى الله عليه وسلم وهو يرضع كان يترك الثدى ليرضع غيره.

(٥٨) أفل النجم : غاب.

٨٧ ـ براءته شـــاءها الخـــالق
على صـورة رامـهـا الوامق [٥٩]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٨٨ ـ ربيع ويورق فـيـه الشـجـر
ألا حـــبـــذا نفـحـة للزهر [٦٠]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٨٩ ـ وفـــضل له من لدن أن ولد
وفى ملعب قط مـا إن وجـد [٦١]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٠ ـ ومـا مـال للهـو فـيـه اللغط
وفى كـل شئ لـديه الـوسط [٦٢]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩١ ـ تدلل دومـا بغـيـر صـرف
ويحـسن منه إباء السـرف [٦٣]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٢ ـ سـلام على نفـحـة للشـذا
وتلك النفـاسـة يا حـبـذا [٦٤]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٣ ـ سلام على خير قـول يقـول
ســلام عـلى هدى هذا الرســول

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

---

(٥٩) الوامق : المحب وهو الله تعالى.

(٦٠) ولد صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع ، وفيه يورق الشجر ويفوح عطر الزهر.

(٦١) لدن : منذ.

(٦٢) اللغط : الضوضاء.

(٦٣) الصرف : الكبر.

السرف : المبالغة.

(٦٤) الشذا : حدة ذكاء الرائحة.

٩٤ ـ سـلام على الحسن فى سيـرته
سلام على القصد فى حـاجته [٦٥]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٥ ـ وحـــار وقـــار به مـــشـيـتـــه
وفى جـبـل حـــبـــذا خلوته [٦٦]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٦ ـ وللناس طرا لـقـــد أرســـلا
ســـلام عليـــــه لكل الملا [٦٧]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٧ ـ لكل المرايا بدت دعـــوتـه
تجلت بلألائهـــا صـــورته

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٨ ـ ســـلام على ليلة قـــامـهـــا
ســـلام على راحـة رامـهـــا [٦٨]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

٩٩ ـ سـلام على بسـمة فى السـحـر
ودمع بليل جـرى وانهـــمـر [٦٩]

(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

---

(٦٥) القصد : الاعتدال.

(٦٦) يوم قار : يوم شديد البرد.

جبل : المراد به جبل حراء.

(٦٧) يشير إلى أنه بعث للناس كافة.

الملأ : الجماعة وهو الخلق.

(٦٨) رامها : أرادها.

(٦٩) كان صلى الله عليه وسلم يبتسم فى الصباح ليطيب النفوس ، أما فى الليل فكان يبكى خشوعا لله واستغفارا لأمته.

١٠٠ ـ سـلام سـلام على رقتـه
سـلام سـلام على هيبتـه

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠١ ـ لسادات قوم شموخ بهام
وإحناؤها ذا لخـيـر الأنام [٧٠]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٢ ـ ومن قائل ما رآه الكليم؟
أيذكـر مـا قـد رآه العظيم [٧١]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٣ ـ هلال له فى نجـوم سطع
وتلك الدياجر كم قـد رفع [٧٢]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٤ ـ وأرض تميـد بمن كـبـروا
بنصـرة رب لهم بشـروا [٧٣]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٥ ـ تعالى هتاف أتى من بعيد
سلام على ذا البئيس النجيد [٧٤]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

---

(٧٠) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس .
شموخ برأيه : تكبر .
الأنام : الناس .
(٧١) الكليم : هو موسى عليه السلام ، والإشارة إلى وقوفه على جبل الطور .
والعظيم : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والإشارة إلى رؤيته لله تعالى فى المعراج .
(٧٢) الدياجر : الظلمات .
(٧٣) تميد : تتحرك .
(٧٤) البئيس : الشجاع .
النجيد : الأسد . والمراد تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسد فى الشجاعة .

١٠٦ ـ صليل وقـولا لـه شنفـا
سـلام عليك أيا مـصطفى [٧٥]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٧ ـ وحمزة فى الحرب ليث هصور
له فى البـوادى مخيف الزئير [٧٦]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٨ ـ سلام على كل تلك السمات
سلام على كل تلك الصـفات [٧٧]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٠٩ ـ وأنسـابه بل وأسـمـائه
سـلام عليـه بعليـائه [٧٨]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١١٠ ـ عليـه من الرب كم من سلام
وعـتـرته بل وصـحب كـرام

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١١١ ـ وبيت النبى وآل العـبـا
ألا إنـهـم ذروة فـى الـسـنـا [٧٩]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

---

(٧٥) صليل السيف : صوت وقوعه على آخر .
شنف قوله : حسنه .
(٧٦) الليث الهصور : الذى يهصر فريسته بقوته .
(٧٧) السمات : العلامات المميزة .
(٧٨) العلياء : علو القدر .
(٧٩) آل العبا : هم آل البيت رضوان الله عليهم .
السنا : الرفعة .

١١٢ ـ فهم دوحة بالظهور ارتوت
وكل الفضائل قد أثمرت [٨٠]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٣ ـ دم للرسول بأعراقهم
وفاء «شعار» لأخلاقهم

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٤ ـ وفاطمة تلك بنت الرسول
سلام عليها فهذى البتول [٨١]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٥ ـ خمارا لها ما رأت شمسنا
ومثل لها ما رأت عيننا

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٦ ـ فريحانة إنها للرسول
سلام عليها يطول يطول

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٧ ـ وهذا السخى السخى الحسن
بكل الحنان الرسول احتضن [٨٢]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٨ ـ هو البدر لاح بأوج الهدى
كما أنه البحر بحر الندى [٨٣]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٨٠) الدوحة : الشجرة العظيمة .
الظهور : الماء الطاهر .
(٨١) البتول : المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا .
(٨٢) المراد به الإمام الحسن ابن الإمام على رضوان الله عليهما ، وكان كريما كما كان جده صلى الله عليه وسلم يحتضنه ويحمله على كتفه .
(٨٣) الندى : الكرم .

١١٩ ـ تذوق شهدا بشهد الرضاب
فعصمته تلك شئ عجاب [٨٤]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٠ ـ وهذا الحسين شهيد البلاء
غريب له الورد لون القباء [٨٥]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢١ ـ على درة حقها فى النجف
سلام عليها بأوج الشرف [٨٦]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٢ ـ ويا حبذا رحمة الأمهات
ويا حبذا طاهرات البنات [٨٧]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٣ ـ سلام على علم بيت الرسول
هو العلم فيه تنار العقول

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٤ ـ وكانت خديجة كهف الأمان
ويا طالما غمرت بالحنان

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٨٤) الرضاب : الريق .
كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل فاه .
(٨٥) يقول إن الحسين رضى الله عنه وأرضاه استشهد فى أرض غريبة ، وكأنما لبس من الدم لون الورد الأحمر قباء .
(٨٦) يقول فى مدح الإمام على كرم الله وجهه ، وروضته فى النجف الأشرف بالعراق ، مشبها إياه بدرة فى حق للجوهر .
(٨٧) يقصد بالأمهات : أمهات المؤمنين .
والبنات : بنات الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٢٥ ـ من العرش جاء إليها السلام
وفى موضع طاب فيه المقام [٨٨]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٦ ـ لها القصر فى جنة من قصب
وفيه السكون فما من صخب [٨٩]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٧ ـ وراحة قلب النبى عائشة
على قلبه راحة ناقشه

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٨ ـ وفى سورة النور عنها كلام
لها الوجه نور عليها السلام

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٩ ـ وجبريل بالإذن لما دخل
لها شأنها أنه قد أجل

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٠ ـ بها النور كان بفضل اجتهاد
فكل فقيه عظيم أفاد [٩٠]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣١ ـ على من ببدر أذيقوا الحمام
ومن آمنوا بالنبى السلام [٩١]

(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(٨٨) أشارة لما يروى أن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد فى الغار، وقال له: «إن خديجة فى الطريق إليك . . فإذا أتتك فأقرئها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة».

(٨٩) الصخب : بالسكون شدة ارتفاع الصوت .

(٩٠) اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها باجتهادها الصائب وأفاد منها فقهاء المذاهب الأربعة .

أفاد : استفاد .

(٩١) فى الأصل الأردى على شهداء بدر وأحد .

١٣٢ ـ ومن بشروا عشرة بالجنان
هنيئا لهم فوزهم بالأمان

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٣ ـ إلى الدين قبل الصحاب سبق
وفى كل قول يقول صدق [٩٢]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٤ ـ أظل بظل له المصطفى
وعز الخلافة كل الوفى

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٥ ـ وخير البرية بعد الرسول
وتلك المعية يوم الرحيل [٩٣]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٦ ـ سلام على سيد المتقين
على عمر أصدق الصادقين

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٧ ـ وكل عدو له فى سقر
سلام عليه وزيرا وزر [٩٤]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٨ ـ وفى كل أمر هو الفيصل
سلام على قوة المنصل [٩٥]

(عليه الصلاة عليه السلام)

الحمام : الموت .

(٩٢) أبى بكر الصديق رضوان الله عليه .

(٩٣) يريد أنه كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة .

(٩٤) سقر : جهنم .

كان لأبى بكر وزيرا يستشيره .

(٩٥) الفيصل : الحاكم والقاضى .

المنصل : السيف .

١٣٩ ـ له الرأى يشبـــه رأى النبى
هو العــدل فــالحق لا يختــبى
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٠ ـ ســـلام على زاهد فى النعم
فــعــثــمــان هذا مــثـال الكرم [٩٦]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤١ ـ له فضل جمع الكتاب المبين له
رفــعــة الذكــر فى العــالمين [٩٧]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٢ ـ قــمــيص عليــه هو المهــتـدى
ولابس ثوب لمــســتــشــهـدى [٩٨]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٣ ـ سلام على أشجع البـؤسـاء
ومـن فـى جنـان يـطـوف بمـاء [٩٩]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٤ ـ أنا المستـغيث به فى الدعـاء
فنعم الوسـيلة نحـو الســمــاء
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٥ ـ حيـال الروافض كم قـد وقف
خــوارج عنهم يصـد الجنف [١٠٠]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

(٩٦) كان عثمان ـ رضوان الله عليه ـ رغم زهده ـ واسع الثراء فأنفق على تجهيز جيش العسرة .

(٩٧) العالمين : الناس .

(٩٨) أخذ القميص الذى كان يلبسه حين استشهد ، فحمله معاوية ونادى بالثأر لعثمان رضى الله عنه .

(٩٩) البؤساء : جمع بئيس وهو الشجاع . والمقصود به سيدنا الإمام على كرم الله وجهه .

(١٠٠) حيال : أمام .

الجنف : الظلم

١٤٦ ـ تفـتح بابا له خــيــبـر
لقــــدرة رب هو المظهــــر
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٧ ـ ومن فـضلوه على الخلفـاء
تصـــدي لهم كـــارها بالإباء
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٨ ـ ومن قبل أو بعـد نيل المرام
على المؤمنين جـمـيعـا سلام [١٠١]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٤٩ ـ ومن كـان يومـا إليـه نظر
ســلام على نور هذا البــصــر
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٥٠ ـ عـدو عليهم أطال اللعان
ورب حماهم بحصن الأمان [١٠٢]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٥١ ـ بقيه ساقى الشراب الطهور
وزين وتفـديه منا الصـدور [١٠٣]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

١٥٢ ـ ســلام على ولد هذا الهمـام
فهم فى الذرى من رفيع المقام [١٠٤]
(عليـــه الصـــلاة عليـــه الســـلام)

(١٠١) يريد قبل فتح خيبر وبعد نيل المرام بفتحها .

(١٠٢) إنهم أهل البيت الذى يحميهم ربهم من ظالميهم .

اللعان : جمع لعن .

(١٠٣) يريد به الإمام زين العابدين على حفيد الإمام على كرم الله وجهه ، وهو زين أهل البيت .

(١٠٤) الولد : جمع ولد .

الهمام : السيد العظيم الهمة .

ذرى : جمع ذروة وهى القمة .

١٥٣ ـ سـلام عليـهم سمـا شأنهم
وكل السـيـادة دومـا لهم

(عليـه الصلاة عليـه السلام)

١٥٤ ـ وأربعـة كـرمـوا في الورى
وحكمـا لهم كلنا كم روى[١٠٥]

(عليـه الصلاة عليـه السلام)

١٥٥ ـ هداة لخلق شـيـوخ الطرق
جـمـيل وفـضل لهم في العنق

(عليـه الصلاة عليـه السلام)

١٥٦ ـ إمـام التـقى ذلك الأعظم
هو الغـوث للناس والأعلم[١٠٦]

(عليـه الصلاة عليـه السلام)

١٥٧ ـ هو الفضل والدين بل والرشاد
وبصـر بالعلم كل العـبـاد

(عليـه الصلاة عليـه السلام)

١٥٨ ـ على شيخ جيلان منا السلام
بشـعـر التـصـوف أحيـا الكلام

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٥٩ ـ وأحنى رقابا لحـشـد جـمع
ومنهـا له منبـرا قـد صنع

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

---

(١٠٥) المراد بهم الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل.
الورى: الناس.
(١٠٦) السيد عبد القادر الجيلاني.

١٦٠ ـ أمين على بركـات السلف
وقطب الطريق وأوج الشرف[١٠٧]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٦١ ـ لآل النبي كـان نعم السليل
وليل الرياضـة ليل طويل[١٠٨]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٦٢ ـ وحـمـزة شيخ بعـقل ودين
وللقـادرية زين يزيـن[١٠٩]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

١٦٣ ـ مقـال وحـال وروح البـدن
وذكـر لاسم لهـذا الحـسن[١١٠]

(عليـه الصـلاة عليـه السـلام)

---

(١٠٧) الأوج: القمة.
(١٠٨) الرياضة: أدب وهو الخروج عن طبع النفس، ورياضة طلب وهو صحة المراد له بالجملة هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته، وقيل الرياضة ملازمة الصلاة والصوم والمحافظة على موجبات الإثم آناء الليل وأطراف النهار وسد باب النوم والبعد عن صحبة القوم.
عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص١١٦، بيروت ١٤٠٧ هـ ـ١٩٨٧م.
السليل: الابن.
(١٠٩) حمزة: اسم شيخ من شيوخ القادرية.
(١١٠) الحال: هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض، وتسمى الحال بالوارد أيضا، ولذا قالوا: لا ورد لمن لا وارد له.
وقيل الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه، إما وارده عليه ميراثا للعمل الصالح المركز للنفس المصفى للقلب. وإما نازلة من الحق تعالى امتنانا محضا، وإنما سميت الأحوال أحوالا لحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحقية ودرجات القرب.
وذلك هو معنى الترقي. وقيل معنى الأحوال هو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار. وقيل الحال هو الذكر الخفي. وقال الجند: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص٧٣.
الحسن: أحد أقطاب التصوف في شبه القارة واسمه اجهي ميان.

١٦٤ ـ وآل الرسول ولى النعم
ونور لروح بخوف الظلم [١١١]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٥ ـ حفيد له واسمه أحمد
له الاسم من نوره يحمد [١١٢]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٦ ـ فياربى لا كان قط العذاب
لأهل الجماعة يوم الحساب [١١٣]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٧ ـ إليك التوسل يا ربنا
بمن قد ذكرنا فذا حسبنا

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٨ ـ سلام على كل من ذى نسب
ومن علمونى، وأم وأب

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٩ ـ ولى رحمة لست بالمؤثر
بل الناس طرا ومن مخبر [١١٤]

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٧٠ ـ ويوم الجزاء يجىء الرسول
فياليت كلا سلاما يقول
(عليه الصلاة عليه السلام)

---

(١١١) يشير إلى شيخه ومرشده المسمى آل الرسول الماهروى.
الظلم : الظلمات . .

(١١٢) يشير إلى حفيد وخليفة مرشده، المسمى بالإمام السيد أحمد النورى.

(١١٣) يريد أهل السنة والجماعة.

(١١٤) الناس طرا : بمعنى الناس جميعا، والمراد أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
ومن مخبر : يريد منه الدعاء له بالرحمة.

١٧١ ـ ومنى الرضا ليتهم يطلبون
«سلاميتى» تلك مَنْ يسمعون [١١٥]

(عليه الصلاة عليه السلام)

* * *

---

(١١٥) الرضا : لقبه الشعرى.
سلاميتى : السلامية عنوان هذه المنظومة.

من شعر : دكتور حسين مجيب المصرى

١ـ منحت رضا الله يا شيخنا
فدينا لنا أنت علمتنا

٢ ـ هديت سبيلا ومن حيرة
وأسكنت إيماننا قلبنا

٣ ـ وفى لمحة منك أو خطرة
أنرت بنورك عقلا لنا

٤ ـ إلى جنة الخلد فى خطوة
دليل خبير هدى سيرنا

٥ ـ ستبقى فتاويك زخر الورى
يقينا محونا به ريبنا

٦ ـ بحب النبى بلغت الذرى
تبوأت بوأت يا سعدنا

٧ ـ فيمضى زمان ولسنا نرى
نظيرك أو مشبها عندنا

المنظومة السلامية

فى الأصل الأُردى

بِسۡمِ اللّٰہِ الرَّحۡمٰنِ الرَّحِیۡمِ

سلام

مصطفےٰ جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام — شمعِ بزمِ ہدایت پہ لاکھوں سلام
مہرِ[1] چرخِ نبوت پہ روشن درود — گلِ باغِ رسالت پہ لاکھوں سلام
شہر[2] یارِ اِرم تاجدارِ حرم — نوبہارِ شفاعت پہ لاکھوں سلام
شب[3] اسریٰ کے دولھا پہ دائم درود — نوشۂ بزمِ جنت پہ لاکھوں سلام
عرش کی زیب و زینت پہ عرشی درود — فرش کی طیب[4] و نزہت پہ لاکھوں سلام
نورِ عین[5] لطافت پہ الطف درود — زیب[6] و زینِ نظافت پہ لاکھوں سلام
سرو[7] نازِ قدم مغزِ رازِ حِکَم — یکہ[8] تازِ فضیلت پہ لاکھوں سلام
نقطۂ[9] سرِّ وحدت پہ یکتا درود — مرکزِ دورِ کثرت پہ لاکھوں سلام
صاحبِ[10] رجعتِ شمس و شق القمر — نائبِ دستِ قدرت پہ لاکھوں سلام

ص۱ : آسمانِ نبوت کے چمکتے سورج ص۲ : جنت کے شہزادے۔ ص۳ : شبِ معراج
ص۴ : فرش کی پاکیزہ شخصیت۔ ص۵ : حقیقی نورِ لطیف۔ ص۶ : زیب و زینت
ص۷ : سرو ایک درخت ہوتا ہے جس کا تنا نہایت سڈول چکنا اور سیدھا ہوتا ہے۔ مراد یہ ہے کہ آقائے نامدار صلی اللہ علیہ وسلم ازسرتا بہ قدم ظاہری طور پر بھی نہایت کامل اور خدا تعالیٰ کی بے شمار حکمتوں کے راز دار بھی۔
ص۸ : یکہ و تنہا ذاتِ عربی صلی اللہ علیہ وسلم۔ ص۹ : وہ اکائی و تنہائی کا نقطہ و مرکز جہاں سے تخلیق و دوئی کا آغاز ہوتا ہے۔
ص۱۰ : مشہور روایت ہے کہ غزوۂ تبوک سے واپسی میں مقام صہبا پر پڑاؤ کے دوران حضرت علی رضی اللہ عنہ کسی بناء پر نمازِ عصر میں نہ ہو سکے تھے کہ آں حضرت صلی اللہ علیہ وسلم ان کے زانو پر سر رکھ کر آرام فرمانے لگے۔ وقت گزر رہا تھا مگر ادبِ نبوت کا پاس اس درجہ تھا کہ کچھ نہ کہہ سکے بلکہ بدن کو جنبش بھی نہ ہونے دی کہ مبادا سرورِ کونین صلی اللہ علیہ وسلم کے آرام میں خلل واقع ہو۔ البتہ غم واندوہ میں آنسو نکل آئے جو رخسارِ مبارک پر گرے آپ نے آنکھ کھولی دریافت فرمایا حضرت علی رضی اللہ عنہ نے عصر کے قضاء ہو جانے کا ذکر کیا۔ سورج غروب ہو رہا تھا کہ آں حضرت صلی اللہ علیہ وسلم نے اشارہ فرمایا اور سورج رجعت کے ساتھ واپس آیا۔ اور حضرت علی رضی اللہ عنہ نے نمازِ عصر ادا کی۔ اس شعر میں رجعتِ شمس سے اس معجزہ کی طرف اشارہ ہے شق القمر کا معجزہ سب پر عیاں ہے کہ کفار کے مطالبہ پر آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم نے انگشتِ مبارک سے چاند کو اشارہ فرمایا تو چاند بیچ سے آدھا آدھا ہو کر جدا ہوا اور پھر جڑ گیا قرآنِ کریم میں سورۂ قمر کو اسی معجزہ کے ذکر سے شروع کیا گیا ہے۔ اقتربت الساعۃ وانشق القمر۔

جس کے زیر لوا[1] آدم و من سوا　　اس سزائے سیادت[2] پہ لاکھوں سلام

عرش تا فرش ہے جس کے زیرِ نگیں　　اس کی قاہر ریاست[3] پہ لاکھوں سلام

اصلِ[4] ہر بود و بہبود و تخمِ وجود　　قاسمِ[5] کنزِ نعمت پہ لاکھوں سلام

فتحِ بابِ نبوت پہ بے حد درود　　ختمِ دورِ رسالت پہ لاکھوں سلام

شرقِ[6] انوارِ نوری پہ بے حد درود　　فتقِ[7] اَزہارِ قدرت پہ لاکھوں سلام

بے سہیم[8] و قسیم و عدیل و مثیل　　جوہرِ فردِ عزت پہ لاکھوں سلام

سرِّ غیبِ[9] ھدایت پہ غیبی درود　　عطرِ جیبِ نہایت پہ لاکھوں سلام

ماہِ[10] لاہوتِ خلوت پہ لاکھوں درود　　شاہِ[11] ناسوتِ جلوت پہ لاکھوں سلام

کنزِ[12] ہر بے کس و بے نوا پر درود　　حرزِ[13] ہر رفتہ طاقت پہ لاکھوں سلام

پرتوِ[14] اسمِ ذاتِ اَحد پر درود　　مقطعِ[15] ہر سیادت پہ لاکھوں سلام

خلق کے داد رس سب کے فریاد رس　　کہفِ[16] روزِ مصیبت پہ لاکھوں سلام

مجھ سے بے کس کی دولت پر بے حد درود　　مجھ سے بے بس کی قوت پہ لاکھوں سلام

شمعِ[17] بزمِ دنیٰ ھو گم کن انا　　شرحِ متنِ ھُوِیَّت پہ لاکھوں سلام

ح۱ : لواء لوا الحمد یعنی وہ جھنڈا جو قیامت کے میدان میں آں حضرت صلی اللہ علیہ وسلم کو عطا ہوگا جس سے از آدم تا آخر سبھی لوگ آپ کی سرداری کا آنکھوں سے دیکھیں گے۔ اور وہ سرداری انبیاء، اولیاء و دیگر افراد سبھی کے لیے برابر ہوگی۔

ح۲ : ایسی لائق سرداری۔　ح۳ : زبردست۔　ح۴ : ہر چیز کی اصل ہر وجود کی بنیاد

ح۵ : حدیث شریف میں آتا ہے انما انا القاسم واللہ یعطی۔ میں بلا شبہ تقسیم کرنے والا ہوں اور خدا تعالیٰ عطا کرنے والا ہے۔

ح۶ : چمکنا۔　ح۷ : چٹکنا، کھلنا۔　ح۸ : جس کا کوئی حصہ دار نہ ہو ایسی بے مثال آپ کی ذات مبارکہ ہے صلی اللہ علیہ وسلم

ح۹ : ہدایت غیبی کے پوشیدہ خزانے۔　ح۱۰ : خلوت خانۂ الٰہی کے دمکتے چاند۔ جہاں آپکے علاوہ کسی مخلوق کا گزر نہیں

ح۱۱ : دنیا کی رونق افروزی کے بادشاہ۔　ح۱۲ : خزانہ۔　ح۱۳ : کھوئی ہوئی طاقت کے پشتیبان

ح۱۴ : ذاتِ باری کے پرتو کامل۔　ح۱۵ : ہر سرداری کی انتہا۔　ح۱۶ : قیامت کے دن کی جائے پناہ

ح۱۷ : واقعہ معراج سے متعلق آیتِ مبارکہ کی طرف اشارہ ہے کہ ثم دنیٰ فتدلیٰ فکان قاب قوسین او ادنیٰ۔ یعنی جب آپ معراج شریف کے لیے تشریف لے گئے تو جہاں انبیاء و فرشتوں میں سے کسی کا گزر نہ تھا وہاں ذات مقدس مسلسل ترقی کرتی چلی گئی۔ یہاں تک کہ قرب کا وہ عالم ہوا کہ الفاظ اس کا فاصلہ بیان کرنے سے قاصر رہ گئے اور تمثیلاً یوں کہنا پڑا۔ فکان قاب قوسین او ادنیٰ کہ وہ اتنے قریب ہو گئے جیسے کہ کمان کے دونوں سِرے یا اس سے بھی کم فاصلہ۔ شعر کا مطلب یہ ہے کہ آپ کی ذات مبارکہ اس محفلِ قربت کی شمع ہے جہاں ذات مبارکہ نے مسلسل ترقی کر کے محفل ہویت میں انا کو گم کر دیا اور مقام فنا کے حقیقی لطف سے بہرہ اندوز ہو کر جب رجعت کی تو اس متن لطیف کی شرح کی حیثیت و مقام حاصل کئے۔ کہ نور خدا مصدر کائنات ہوا اور نور نبی شرح کائنات کا مصداق بنا۔

انتہائے[1] دوئی ابتدائے یکی　　جمع و تفریق و کثرت پہ لاکھوں سلام

قلتِ بعد کثرت پہ بے حد درود　　عزتِ بعد ذلت پہ لاکھوں سلام

ربِ اعلیٰ کی نعمت پہ اعلیٰ درود　　حق تعالیٰ کی سنت پہ لاکھوں سلام

ہم غریبوں کے آقا پہ بے حد درود　　ہم فقیروں کی ثروت پہ لاکھوں سلام

فرحتِ جانِ مومن پہ بے حد درود　　غیظِ قلبِ ضلالت پہ لاکھوں سلام

سببِ ہر سبب منتہائے طلب　　علّتِ جملہ علّت پہ لاکھوں سلام

مصدرِ[2] مظہریت پہ اظہر درود　　مظہرِ مصدریت پہ لاکھوں سلام

جس کے جلوے سے مرجھائی کلیاں کھلیں　　اس گلِ پاک منبت[3] پہ لاکھوں سلام

قدِ[4] بے سایہ کے سایۂ مرحمت　　ظلِّ[5] ممدودِ رافت پہ لاکھوں سلام

طائرانِ[6] قدس جن کی ہیں قمریاں　　اس سہی سروِ قامت پہ لاکھوں سلام

وصف جس کا ہے آئینۂ حق نما　　اس خدا ساز طلعت[7] پہ لاکھوں سلام

جس کے آگے سرِ سروراں[8] خم رہیں　　اس سرِ تاجِ رفعت[9] پہ لاکھوں سلام

وہ کرم کی گھٹا گیسوئے مشک سا　　لکۂ[10] ابرِ رافت[11] پہ لاکھوں سلام

لیلۃ[12] القدر میں مطلع الفجر حق　　مانگ کی استقامت پہ لاکھوں سلام

دور و نزدیک کے سننے والے وہ کان　　کانِ لعلِ کرامت پہ لاکھوں سلام

چشمۂ مہر میں موجِ نورِ جلال　　اس رگِ ہاشمیت[13] پہ لاکھوں سلام

ح۱ : فرق و تفریق اور کثرت و دوئی کی وہ انتہا جس کے آگے مقام احدیت کے سوا کچھ نہیں۔ درحقیقت ذات مقدس صلی اللہ علیہ وسلم خالق و مخلوق کے درمیان ایک ایسی کڑی ہے جہاں سے سرمو بلکہ اس سے بھی کم آگے مقام احدیت ہے اور اس مقام سے ادنیٰ فروتر ہونے سے خلق و دوئی کا مقام آجاتا ہے۔ آپ کی ذات مرکز کائنات بھی ہے کہ ہر شے کی ابتدائی تخلیق آپ کے نور مبارک سے ہوئی اور ہر چیز کے منتہیٰ بھی آپ ہی ہیں کہ آپ کا دور نبوت جو علم الٰہی میں ہے اس کے ختم ہوتے ہی اس کائنات کو بھی ختم ہو جاتا ہے۔ اور قیامت کا ہنگامہ بپا ہو جاتا ہے۔

ح۲ : سرچشمۂ کائنات۔　ح۳ : گل مطہر یعنی ذاتِ اقدس صلی اللہ علیہ وسلم۔

ح۴ : مشہور ہے کہ آپ کا سایہ نہ پڑتا تھا کہ آپ کا سایۂ رحمت پوری کائنات پہ پھیلا ہوا تھا۔

ح۵ : پھیلا ہوا سایہ۔　ح۶ : فرشتے۔　ح۷ : چہرہ مبارکہ۔

ح۸ : بادشاہ۔　ح۹ : بلندی کا تاج پہننے والے۔　ح۱۰ : خلاصہ

ح۱۱ : رحمت۔　ح۱۲ : آپ کی مانگ ایسی معلوم ہوتی تھی جیسے رات کے اندھیرے سے صبح نمودار ہورہی ہو۔

ح۱۳ : خاندانِ قریش کی شاخ بنو ہاشم سے آپ کا نسبی تعلق ہے اس لیے آپ کو ہاشمی بھی کہا جاتا ہے۔

جس کے ماتھے شفاعت کا سہرا رہا — اس جبینِ سعادت[۱] پہ لاکھوں سلام

جن کے سجدے کو محرابِ کعبہ جھکی — ان بھوؤں کی لطافت[۲] پہ لاکھوں سلام

ان کی آنکھوں میں وہ سایہ افگن مژہ[۳] — ظلۂ قصرِ رحمت[۴] پہ لاکھوں سلام

اشکباریٔ مژگاں[۵] پہ برسے درود — سلکِ درِّ شفاعت[۶] پہ لاکھوں سلام

معنیٔ[۷] قد رأی مقصدِ ما طغیٰ — نرگسِ باغِ قدرت پہ لاکھوں سلام

جس طرف اٹھ گئی دم میں دم آگیا — اس نگاہِ عنایت پہ لاکھوں سلام

نیچی آنکھوں کی شرم و حیا پہ درود — اونچی بینی کی رفعت پہ لاکھوں سلام

جن کے آگے چراغِ قمر جھلملائے — اُن عذاروں کی طلعت پہ لاکھوں سلام

جس سے تاریک دل جگمگانے لگیں — اس چمک والی رنگت پہ لاکھوں سلام

ان کے خد کی سہولت[۸] پہ بے حد درود — ان کے قد کی رشاقت[۹] پہ لاکھوں سلام

چاند سے منہ پہ تاباں درخشاں درود — نمک آگیں صباحت[۱۰] پہ لاکھوں سلام

شبنمِ باغِ حق یعنی رُخ کا عَرَق[۱۱] — اس کی سچی بُراقت[۱۲] پہ لاکھوں سلام

خط کی گردِ دہن وہ دل آرا پھبن[۱۳] — سبزۂ نہرِ رحمت پہ لاکھوں سلام

ریشِ[۱۴] خوش معتدل مرہمِ ریشِ دل — ہالۂ ماہِ ندرت[۱۵] پہ لاکھوں سلام

پتلی پتلی گلِ قدس کی پتیاں — اُن لبوں کی نزاکت پہ لاکھوں سلام

---

۱ : مبارک پیشانی۔ ۲ : سبک و نازک بھویں اور ان کا محرابی جھکاؤ۔ ۳ : پلکیں۔
۴ : رحمت کا سائبان ۵ : امت کے غم آپ کی پلکوں سے گرنے والے آنسو۔
۶ : شفاعت کے موتیوں کی لڑی۔ ۷ : معنی قد رأی۔ مقصد ما طغیٰ سے مراد آپ کی ذات مبارکہ ہے اس شعر میں سورۂ نجم کی آیات معراج کی جانب اشارہ ہے کہ جب انوار الٰہی اور تجلیات ربانی کی آپ نے زیارت کی تو آپ کی نگاہیں نہ تو خیرہ ہوئیں نہ سر میں کسی قسم کا چکر آیا۔ تجربات شاہد ہیں کہ تیز روشنی سے آنکھیں بھی خیرہ و چکاچوند ہوتی ہیں اور سر بھی گھومنے لگتا ہے۔ اور صحیح طور سے انسان کچھ بھی نہیں دیکھ پاتا۔ چونکہ انسان کا یہی تجربہ ہے اس لیے خداوند قدوس نے ناقص بصارت و بصیرت والوں کو تنبیہ فرمائی کہ اس کے محبوب کو اپنے معاملہ پر قیاس نہ کرلیں وہاں حقیقی تجلیات دیکھنے پر بھی کسی قسم کی چکاچوند یا بصارت میں لغزش نہ آئی۔ پس جو کچھ دیکھنا تھا وہی دیکھا۔ اور بلا حجاب دیکھا۔
۸ : رخساروں کی نرمی و خوبصورتی۔ ۹ : مناسب و معتدل سجیلا۔ ۱۰ : ملاحت و خوب صورتی۔
۱۱ : پسینہ۔ ۱۲ : چمک۔
۱۳ : چہرۂ انور کے گرد ریش مبارک سے بھرا ہوا خط۔
۱۴ : داڑھی۔
۱۵ : انوکھے۔

وہ دہن[۱] جس کی ہر بات وحیِ خدا — چشمۂ علمِ حکمت پہ لاکھوں سلام

جس کے پانی سے شاداب جان و جناں — اس دہن کی طراوت[۲] پہ لاکھوں سلام

جس سے کھاری کنوئیں شیرۂ جاں بنے — اس زلالِ حلاوت[۳] پہ لاکھوں سلام

وہ زباں جس کو سب کُن کی کنجی کہیں — اس کی نافذ حکومت پہ لاکھوں سلام

اس کی پیاری فصاحت پہ بے حد درود — اس کی دل کش بلاغت پہ لاکھوں سلام

اس کی باتوں کی لذت پہ لاکھوں درود — اس کے خطبہ کی ہیبت پہ لاکھوں سلام

وہ دعا جس کا جوبن بہارِ قبول — اس نسیمِ اجابت[۴] پہ لاکھوں سلام

جن کے گچھے[۵] سے لچھے جھڑیں نور کے — ان ستاروں کی نزہت[۶] پہ لاکھوں سلام

جن کی تسکیں سے روتے ہوئے ہنس پڑیں — اس تبسم کی عادت پہ لاکھوں سلام

جس میں نہریں ہیں شیر و شکر کی رواں — اس گلے کی نضارت[۷] پہ لاکھوں سلام

دوش بر دوش ہے جن سے شانِ شرف — ایسے شانوں کی شوکت پہ لاکھوں سلام

حَجَرِ اسود کعبۂ جان و دل — یعنی مُہرِ نبوت[۸] پہ لاکھوں سلام

روئے آئینہ[۹] علم پشتِ حضور — پشتیٔ[۱۰] قصرِ ملت پہ لاکھوں سلام

ہاتھ جس سمت اٹھا غنی کردیا — موجِ بحرِ سماحت[۱۱] پہ لاکھوں سلام

جس کو بارِ دو عالم کی پرواہ نہیں — ایسے بازو کی قوت پہ لاکھوں سلام

کعبۂ دین و ایمان کے دونوں ستوں — ساعدینِ[۱۲] رسالت پہ لاکھوں سلام

---

۱ : منہ۔ ۲ : تازگی
۳ : خالص مٹھاس و شیرینی۔ اس شعر میں ایک معجزہ کی جانب اشارہ ہے کہ ایک مرتبہ صحابہ کرام نے ایک کھاری کنوئیں کے بارے میں شکایت پیش کی آپ تشریف لے گئے اور اپنا لعاب مبارک اس میں ڈال دیا تو وہ پانی نہایت شیریں و میٹھا ہوگیا۔
۴ : قبولیت کی ہوا۔ ۵ : منہ۔
۶ : مراد دندانِ مبارک (صلی اللہ علیہ وسلم)۔
۷ : خوبی و شادابی۔
۸ : حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم کی پشتِ مبارک کی داہنی جانب بیضاوی شکل میں ابھری ہوئی مُہرِ نبوت تھی جس پر لفظ "محمد" لکھا تھا
۹ : یعنی آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے پیٹھ پیچھے کا علم بالکل اسی طرح ہے جیسے کوئی سامنے آئینہ دیکھتا ہو۔
۱۰ : پشتیبان۔ سہارا۔
۱۱ : سخاوت۔
۱۲ : دونوں کلائیاں۔

جس کے ہر خط میں ہے موجِ نورِ کرم   اس کفِ بحرِ[1] ہمت پہ لاکھوں سلام

نور کے چشمے لہرائیں دریا بہیں   انگلیوں کی کرامت[2] پہ لاکھوں سلام

عیدِ مشکل کشائی کے چمکے ہلال   ناخنوں کی بشارت پہ لاکھوں سلام

رفعِ[3] ذکرِ جلالت پہ ارفع درود   شرحِ صدرِ صدارت پہ لاکھوں سلام

دل سمجھ سے ورا ہے مگر یوں کہوں   غنچۂ رازِ وحدت پہ لاکھوں سلام

کُل[4] جہاں مِلک اور جَو کی روٹی غذا   اس شکم[5] کی قناعت پہ لاکھوں سلام

جو کہ عزمِ شفاعت پہ کھنچ کر بندھی   اس کمر کی حمایت پہ لاکھوں سلام

انبیاء تہ کریں زانو اس کے حضور[6]   زانوؤں کی وجاہت[7] پہ لاکھوں سلام

ساقِ اصلِ قدم شاخِ نخلِ کرم   شمعِ راہِ اصابت[8] پہ لاکھوں سلام

کھائی[9] قرآں نے خاکِ گزر کی قسم   اس کفِ پا کی حرمت پہ لاکھوں سلام

جس سہانی گھڑی چمکا طیبہ کا چاند   اس دل افروز ساعت پہ لاکھوں سلام

پہلے[10] سجدہ پہ روزِ ازل سے درود   یادگاریٔ امت پہ لاکھوں سلام

زرعِ[11] شاداب ہر ضرع[12] پر شیر سے   برکاتِ رضاعت[13] پہ لاکھوں سلام

بھائیوں کے لیے ترکِ پستاں کریں   دودھ پیتوں کی نصفت[14] پہ لاکھوں سلام

ح۱ : عزم کے سمندر۔ ح۲ : اس شعر میں اس معجزہ کی طرف اشارہ ہے کہ صلح حدیبیہ کے موقع پر دورانِ سفر پانی بالکل ختم ہوگیا تو آپ نے سارا پانی جمع کرنے کا حکم فرمایا۔ سارے قافلہ کا پانی جمع کرنے پر صرف ایک بادیہ یعنی ایک کٹورہ پانی نکلا چنانچہ آپ نے اس میں اپنا دستِ مبارک رکھ دیا اور دیکھتے ہی دیکھتے آپ کی انگلیوں سے پانی کے فوارے پھوٹنا شروع ہو گئے سب نے خوب سیر ہو کر پیا اور اپنے مشکیزے بھی بھر لیے۔

ح۳ : سورۃ الم نشرح میں خدا تعالیٰ نے فرمایا "اے حبیب کیا ہم نے آپ کے سینہ کو وا نہیں کیا۔۔۔۔ پھر فرمایا" اور ہم نے آپ کے ذکر کو بلند کیا۔ ح۴ : یعنی سارا جہاں آپ کی وجہ سے اور آپ کیلئے بنا ہے اور آپ کے صدقہ میں ساری مخلوق کے لیے۔ ح۵ : پیٹ ح۶ : سامنے

ح۷ : عب ودبدبہ ح۸ : صحیح راستہ

ح۹ : مفسرین نے لکھا ہے کہ لا اقسم بھذا البلد" یعنی قسم کھاتا ہوں میں اس شہر کی" اس سے مراد مکہ مکرمہ ہے جو آپ کی جائے پیدائش اور خاص گزر ہے۔ ح۱۰ : مواہب لدنیہ ص۲۳ میں حضرت آمنہ رضی اللہ تعالیٰ عنہا کا قول ہے "یعنی جب آپ پیدا ہوئے تو میں نے دیکھا کہ آپ سجدے میں ہیں اور عاجزی و زاری کے ساتھ انگلی اٹھائی ہوئی ہے"

ح۱۱ : کھیتی۔ ح۱۲ : جانوروں کے تھن۔ ح۱۳ : دودھ پلانا۔ اس شعر میں رضاعت کے زمانے کے معجزے کا ذکر ہے کہ جب دائی حلیمہ آپ کو لے گئیں تو آپ کی برکت سے وہاں کی سوکھی کھیتیاں اور خشک میدان ہرے بھرے ہوگئے اور انکی اونٹنیاں و بکریاں خوب دودھ دینے لگیں۔ ح۱۴ : انصاف

مہدِ[1] والا کی قسمت پہ صدہا درود   برجِ ماہِ رسالت پہ لاکھوں سلام

اللہ اللہ وہ بچپنے کی پھبن   اس خدا بھاتی صورت پہ لاکھوں سلام

اٹھتے بوٹوں کی نشو ونما[2] پر درود   کھلتے غنچوں کی نکہت[3] پہ لاکھوں سلام

فضلِ پیدائشی پر ہمیشہ درود   کھیلنے سے کراہت پہ لاکھوں سلام

بے بناوٹ ادا پر ہزاروں درود   بے تکلف ملاحت پہ لاکھوں سلام

بھینی بھینی مہک پر مہکتی درود   پیاری پیاری نفاست پہ لاکھوں سلام

میٹھی میٹھی عبارت پہ شیریں درود   اچھی اچھی اشارت پہ لاکھوں سلام

سیدھی سیدھی روش پر کروڑوں درود   سادی سادی طبیعت پہ لاکھوں سلام

روزِ گرم و شبِ[4] تیرہ و تار میں   کوہ[5] و صحرا کی خلوت پہ لاکھوں سلام

جس کے گھیرے میں ہیں انبیاء[6] و ملک   اس جہاں گیر بعثت[7] پہ لاکھوں سلام

اندھے[8] شیشے جھلاجھل دمکنے لگے   جلوہ[9] ریزی کی دعوت پہ لاکھوں سلام

لطفِ بیداریٔ شب پہ بے حد درود   عالمِ خوابِ راحت پہ لاکھوں سلام

خندۂ[10] صبحِ عشرت پہ نوری درود   گریۂ[11] ابرِ رحمت پہ لاکھوں سلام

نرمیٔ خوئے[12] لینت پہ دائم درود   گرمیٔ شانِ[13] سطوت پہ لاکھوں سلام

جس کے آگے کھنچی گردنیں جھک گئیں   اس خدا داد شوکت پہ لاکھوں سلام

کس کو دیکھا یہ موسیٰ سے پوچھے کوئی   آنکھ والوں کی ہمت پہ لاکھوں سلام

ح۱ : بالترتیب حضرت آمنہ اور حضرت حلیمہ سعدیہ رضی اللہ عنہما کی گودیں مراد ہیں۔

ح۲ : بڑھنا۔ پرورش پانا۔ ح۳ : خوشبو۔ ح۴ : اندھیری رات میں

ح۵ : جنگل و پہاڑ۔ اعلانِ نبوت سے پہلے حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم جنگل جاتے اور غارِ حرا میں مسلسل کئی کئی روز تک عبادتِ الٰہی میں مشغول رہتے۔

ح۶ : فرشتے۔ ح۷ : پیغمبری۔ ح۸ : کفار کے دل و دماغ۔

ح۹ : شعاعیں ڈالنا۔ یعنی باطنی توجہ۔ یعنی جو اہلِ کفر اسلام کے دشمن اور سخت ترین دشمن تھے آپ کی توجہ اور دعوتِ اسلام قبول کرنے کے بعد ہی لوگ بہترین محافظ بن گئے۔ پاسباں مل گئے کعبہ کو صنم خانے سے۔

ح۱۰ : مسکراتی صبح۔ ح۱۱ : امت کے غم میں رونا۔

ح۱۲ : نرم عادت۔ قرآنِ حکیم نے آپ کا یہ وصف بیان فرمایا" فبما رحمة من الله لنت لهم "خدا کی رحمت سے آپ ان کے لیے بڑے نرم ہیں۔ ح۱۳ : حاکمانہ شان۔

گردِ مہ دستِ انجم میں رخشاں ہلال — بدر کی دفعِ ظلمت[1] پہ لاکھوں سلام

شورِ تکبیر سے تھرتھرائی زمین — جنبشِ جیشِ نصرت[2] پہ لاکھوں سلام

نعرہائے دلیراں سے بن گونجتے — غُرّشِ کوسِ جرأت پہ لاکھوں سلام

وہ چقا چاق خنجر سے آتی صدا — مصطفیٰ تیری صولت[3] پہ لاکھوں سلام

ان کے آگے وہ حمزہ کی جانبازیاں — شیرِ غرّانِ سطوت پہ لاکھوں سلام

الغرض ان کے ہر مو[4] پہ لاکھوں درود — ان کی ہر خو و خصلت[5] پہ لاکھوں سلام

ان کے ہر نام و نسبت پہ نامی درود — ان کے ہر وقت و حالت پہ لاکھوں سلام

ان کے مولا کے ان پہ کروڑوں درود — ان کے اصحاب و عترت[6] پہ لاکھوں سلام

پارہائے[7] صحف غنچہائے قدس — اہل بیتِ نبوت پہ لاکھوں سلام

آبِ[8] تطہیر سے جس میں پودے جمے — اس ریاضِ[9] نجابت پہ لاکھوں سلام

خونِ خیر الرسل سے ہے جن کا خمیر — ان کی بے لوث طینت[10] پہ لاکھوں سلام

اس بتولِ جگر پارۂ مصطفیٰ — حجلہ[11] آرائے عفت پہ لاکھوں سلام

جس کا آنچل نہ دیکھا مہ و مہر[12] نے — اس ردائے[13] نزاہت پہ لاکھوں سلام

سیدہ زاہرہ طیبہ طاہرہ — جانِ احمد کی راحت پہ لاکھوں سلام

وہ حسن مجتبیٰ سید الاسخیا[14] — راکبِ دوشِ عزت پہ لاکھوں سلام

اوجِ[15] مہرِ ہدیٰ موجِ بحرِ[16] ندی — روح و روحِ سخاوت پہ لاکھوں سلام

ح۱ : اندھیرا دور کرنے والا چاند۔
ح۲ : فرشتوں کا وہ لشکر جو جنگ بدر میں مدد کے لیے اترا تھا۔
ح۳ : حملہ۔ رعب۔
ح۴ : رونگٹا۔ بال۔
ح۵ : عادت۔
ح۶ : خاندان۔
ح۷ : قرآن پاک کے پارے۔ یعنی افراد اہل بیت۔
ح۸ : پاک پانی۔
ح۹ : شرافت کے باغ۔
ح۱۰ : عادت۔ طبیعت۔
ح۱۱ : پاکدامنی کے ڈولے میں بیٹھنے والی۔
ح۱۲ : چاند سورج۔
ح۱۳ : پاکیزہ چادر۔
ح۱۴ : سخیوں کے سردار۔
ح۱۵ : ترقی بلندی۔
ح۱۶ : سخاوت کا سمندر۔

شہد[1] خوارِ لعابِ زبانِ نبی — چاشنی گیرِ عصمت پہ لاکھوں سلام

اس شہیدِ[2] بلا شاہِ گلگوں قبا[3] — بیکسِ[4] دشتِ غربت پہ لاکھوں سلام

دُرِّ[5] دُرجِ نجف مہرِ بُرجِ شرف — رنگِ رومی شہادت پہ لاکھوں سلام

اہل اسلام کی مادرانِ شفیق[6] — بانوانِ طہارت پہ لاکھوں سلام

جلوگیان[7] بیت الشرف پہ درود — پردگیانِ عفت پہ لاکھوں سلام

سیّما[8] پہلی ماں کہفِ امن و امان — حق گزارِ رفاقت پہ لاکھوں سلام

عرش سے جن پہ تسلیم نازل ہوئی — اس سرائے سلامت پہ لاکھوں سلام

منزل[9] من قصب لا نصب لا صخب — ایسے کوشک[10] کی زینت پہ لاکھوں سلام

بنتِ[11] صدیق آرامِ جانِ نبی — اس حریمِ برأت پہ لاکھوں سلام

یعنی[12] ہے سورۂ نور جن کی گواہ — ان کی پر نور صورت پہ لاکھوں سلام

جن میں روح الامیں[13] بے اجازت نہ آئیں — اس سرادق[14] کی عصمت پہ لاکھوں سلام

شمع تابانِ کاشانۂ اجتہاد — مفتیٔ چار[15] ملت پہ لاکھوں سلام

جان نثارانِ بدر[16] و احد پہ درود — حق گزارانِ بیعت[17] پہ لاکھوں سلام

وہ دسوں[18] جن کو جنت کا مژدہ ملا — اس مبارک جماعت پہ لاکھوں سلام

ح۱ : حضرت حسن کی پیدائش پر رسول اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنا لعاب مبارک آپ کے دہن میں منتقل فرمایا تھا۔ نور الابصار فی مناقب آل بیت النبی المختار ص۱۳۱ میں سیدنا امام حسن رضی اللہ عنہ کے تذکرہ میں ہے کہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم حضرت حسن کو دیکھ کر خوش ہوئے اور زبان مبارک ان کے منہ میں ڈال کر اپنا لعاب مبارک ان کے دہن میں داخل فرمایا پھر ساتویں دن آپ نے فرمایا تم نے کیا نام رکھا جواب ملا "حرب"، آپ صلی اللہ علیہ وسلم نے فرمایا نہیں، حسن نام رکھو۔
ح۲ : شہید کربلا۔ یعنی حضرت حسین رضی اللہ عنہ۔ ح۳ : پھولوں کی سی رنگت والی۔ ح۴ : بے بس پردیسی۔
ح۵ : نجف کے راستہ کے موتی۔ ح۶ : مہربان مائیں۔ یعنی امہات المومنین ح۷ : خصوصاً۔
ح۸ : ساتھ دینے کا حق ادا کر دینے والی۔ ح۹ : کھجور کی ٹہنیوں سے بنا ہوا ایسا گھر جس میں کسی قسم کی تکلیف نہ ہو۔ ح۱۰ : مکان۔
ح۱۱ : یعنی ام المومنین حضرت عائشہ صدیقہ رضی اللہ عنہا۔ ح۱۲ : حضرت ام المومنین کی پاکدامنی کے خلاف جب منافقین نے تہمت لگائی تو قرآن کریم نے انکی پاکیزگی کی گواہی سورہ نور کے ذریعہ فرمائی اور تہمت لگانے والوں کو ۸۰ کوڑوں کی سزا مقرر فرمائی تفصیل کیلئے پارہ ۱۸ سورہ نور
ح۱۳ : حضرت جبریل علیہ السلام۔ ح۱۴ : پردے۔ ح۱۵ : خلفائے اربعہ۔ حضرت ابوبکر صدیق حضرت عمر فاروق حضرت عثمان غنی حضرت علی رضی اللہ عنہم و رضوا عنہ۔ ح۱۶ : بدر و احد۔ اسلام کی پہلی دو جنگیں جو بالترتیب ۲ھ، ۳ھ میں پیش آئیں۔ ح۱۷ : اہل بیعت سے مراد وہ تمام صحابہ ہیں جنھوں نے صلح حدیبیہ کے موقع پر ایک درخت کے نیچے حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم کے دستِ مبارک پر بیعت کی تھی۔
ح۱۸ : ۱۰ صحابۂ کرام کو حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے ان کی زندگی ہی میں جنت کی خوشخبری دیدی تھی۔ وہ یہ ہیں حضرات ابوبکر صدیق و عمر فاروق و عثمان و علی و سعد بن ابی وقاص و سعید بن جبیر و عبد الرحمٰن بن عوف و زبیر و طلحہ اور ابو عبیدہ ابن الجراح رضی اللہ عنہم۔ انھیں کو عشرہ مبشرہ کہا جاتا ہے۔

خاص اس سابقِ خیرِ قربِ خدا — اوحدِ کاملیت پہ لاکھوں سلام

سایۂ مصطفےٰ مایۂ اصطفا — عزّ و نازِ خلافت پہ لاکھوں سلام

یعنی اس افضل الخلق بعد الرسل — ثانیِ اثنینِ ہجرت پہ لاکھوں سلام

اصدق الصادقین سید المتقین — چشم و گوشِ وزارت پہ لاکھوں سلام

وہ عمر جس کے اعدا پہ شیدا سقر — اس خدا دوست حضرت پہ لاکھوں سلام

فارقِ حق و باطل امام الہدیٰ — تیغِ مسلولِ شدت پہ لاکھوں سلام

ترجمانِ نبی ہمزبانِ نبی — جانِ شانِ عدالت پہ لاکھوں سلام

زاہد[2] مسجدِ احمدی پہ درود — دولتِ جیشِ عسرت[3] پہ لاکھوں سلام

درِ منثور قرآں[4] کی سلک بھی — زوجِ دو نور[5] عفت پہ لاکھوں سلام

یعنی عثمان صاحب[6] قمیصِ ہدیٰ — حلّہ پوشِ شہادت پہ لاکھوں سلام

مرتضیٰ شیرِ حق اشجع الاشجعین — ساقیِ شیر و شربت پہ لاکھوں سلام

اصل نسلِ صفا وجہِ وصلِ خدا — بابِ فضلِ عدالت پہ لاکھوں سلام

اولیں[7] دافعِ اہلِ رفض و خروج — چارمی[8] رکنِ ملت پہ لاکھوں سلام

شیرِ شمشیر زن شاہِ خیبر شکن — پرتوِ[9] دستِ قدرت پہ لاکھوں سلام

ص۱ : حضرت ابوبکر کا خطاب ہے جو قرآنِ حکیم نے بیان فرمایا۔ — ص۲ : حضرت عثمان رضی اللہ عنہ مراد ہیں۔

ص۳ : غزوۂ تبوک کا دوسرا نام ہے۔ اسی موقع پر جب چندہ ہو رہا تھا تو حضرت عمرؓ نے آدھا اور حضرت ابوبکر صدیقؓ نے سارا سامان لاکر قدم رسالت میں ڈال دیا تھا۔ اس موقع پر سارے لشکر کا آدھا سامان حضرت عثمان غنیؓ نے مہیا فرمایا تھا اسی واقعہ کی جانب اشارہ ہے

ص۴ : قرآن کی سلک سے مراد یہ ہے کہ حضرت عثمان غنی رضی اللہ عنہ نے ہی قرآنِ کریم کی تمام آیات کو تیسری اور آخری مرتبہ اجلۂ صحابہ و کاتبانِ وحی کی مدد سے جمع فرماکر تمام ممالک اسلام میں پھیلا دیا۔ جو آج تک محفوظ شکل میں ہمارے ہاتھوں میں موجود ہے۔

ص۵ : دو نور کے شوہر یعنی رسولِ اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنی دو صاحبزادیاں یکے بعد دیگر حضرت عثمان کے عقد میں عطا فرمائیں تھیں۔

ص۶ : مطلب یہ ہے کہ حضرت عثمان رضی اللہ عنہ کی خلافت کے بارے میں خوشخبری فرماتے ہوئے رسول اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے فرمایا تھا اے عثمان خدا تعالیٰ عن قریب تمہیں ایک قمیص پہنائے گا۔ اسے اتارنا نہیں۔ یہی قمیص آپ کی شہادتِ عظمیٰ کا باعث بنی۔

ص۷ : رافضیوں اور خارجیوں کی سب سے پہلے حضرت علی رضی اللہ تعالیٰ عنہ نے ہی تردید کی تھی۔ ایک بستی میں تو آپ نے آگ لگوادی تھی۔ یہ وہی لوگ تھے جنھوں نے حمایت علی کے نام پر اسلامی عقائد سے انحراف کیا اور اہل سنت والجماعۃ کے دائرہ سے خروج کیا تھا۔

ص۸ : چوتھے خلیفۂ اسلام

ص۹ : سایہ۔ عکس۔

ماحیِ رفض و تفضیل و نصب و خروج — حامیِ دین و سنت پہ لاکھوں سلام

مومنین[1] پیشِ فتح و پسِ فتح سب — اہلِ خیر و عدالت پہ لاکھوں سلام

جس مسلماں نے دیکھا انھیں اک نظر — اس نظر کی بصارت پہ لاکھوں سلام

جن کے دشمن پہ لعنت ہے اللہ کی — ان سب اہلِ محبت پہ لاکھوں سلام

باقیِ ساقیانِ شرابِ طہور — زینِ اہلِ عبادت پہ لاکھوں سلام

اور جتنے ہیں شہزادے اس شاہ کے — ان سب اہلِ مکانت[2] پہ لاکھوں سلام

ان کی بالا شرافت پہ اعلیٰ درود — ان کی والا سیادت پہ لاکھوں سلام

شافعی مالک احمد امام حنیف — چار باغِ[3] امامت پہ لاکھوں سلام

کاملانِ طریقت پہ کامل درود — حاملانِ شریعت پہ لاکھوں سلام

غوثِ اعظم امام التقیٰ والنقیٰ — جلوۂ شانِ قدرت پہ لاکھوں سلام

قطب و ابدال و ارشاد و رشد الرشاد — محییِ[4] دین و ملت پہ لاکھوں سلام

مردِ خیلِ طریقت پہ بے حد درود — فردِ اہلِ حقیقت پہ لاکھوں سلام

جس[5] کی منبر ہوئی گردنِ اولیا — اس قدم کی کرامت پہ لاکھوں سلام

شاہِ برکات و برکاتِ پیشینیاں — نوبہارِ طریقت پہ لاکھوں سلام

سید آلِ محمد امام الرشد — گلِ روضِ ریاضت پہ لاکھوں سلام

ص۱ : فتح مکہ سے پہلے اور فتح مکہ کے بعد والے تمام صحابہ اکرام۔ قرآنِ کریم میں انھیں الفاظ کے ساتھ صحابۂ اکرام کی تعریف کی گئی ہے۔ "تم میں سے کوئی شخص اس کے برابر نہیں ہو سکتا جس نے فتح (مکہ) سے پہلے خرچ کیا اور جنگ لڑی۔ وہ لوگ درجہ میں ان لوگوں سے بڑے ہیں جنھوں نے فتح (مکہ) کے بعد خرچ کیا اور جہاد کیا اور اللہ نے سبھی سے اچھا وعدہ کیا ہے۔

ص۲ : عزت و جاہ والے۔

ص۳ : چاروں امام۔ یعنی حضرت امام شافعی۔ امام مالک۔ امام احمد اور امام ابوحنیفہ رحمہم اللہ۔

ص۴ : دین کو زندہ کرنے والے۔

ص۵ : حضرت غوث الاعظم شیخ عبدالقادر جیلانی رحمۃ اللہ علیہ کا مشہور مقولہ ہے کہ میرا پیر تمام اولیاء اللہ کی گردن پر ہے" یعنی تمام اولیاء اللہ کی سرداری مجھے دربار رسالت سے عنایت ہوئی ہے (والعلم عنداللہ)

حضرتِ حمزہ شیرِ خدا و رسول	زینتِ قادریت پہ لاکھوں سلام
نام و کام و تن و جان و حال و مقال	سب میں اچھے کی صورت پہ لاکھوں سلام
نورِ جاں عطرِ مجموعہ آلِ رسول[ص۱]	میرے آقائے نعمت پہ لاکھوں سلام
زیبِ سجادہ سجاد نوری نہاد	احمدِ[ص۲] نور طینت پہ لاکھوں سلام
بے عذاب و عتاب و حساب و کتاب	تا ابد اہلِ سنت پہ لاکھوں سلام
تیرے ان دوستوں کے طفیل اے خدا	بندۂ ننگِ خلقت پہ لاکھوں سلام
میرے استاد ماں باپ بھائی بہن	اہلِ وُلد و عشیرت پہ لاکھوں سلام
ایک میرا ہی رحمت پہ دعویٰ نہیں	شاہ کی ساری امت پہ لاکھوں سلام
کاش محشر میں جب ان کی آمد ہو اور	بھیجیں سب ان کی شوکت پہ لاکھوں سلام

مجھ سے خدمت کے قدسی کہیں ہاں رضاؔ
مصطفیٰ جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام

ص۱: اعلیٰ حضرت کے پیر سید آل رسول صاحب رحمۃ اللہ علیہ۔

ص۲: سید آل رسول رحمۃ اللہ علیہ کے خلیفہ سید ابو الحسین احمد نوری رحمۃ اللہ علیہ۔

مراجع البحث
المراجع الشرقية

في العربية

١ - إبراهيم الحيدري	تراجيديا كربلاء	بيروت، ١٩٩٩م.
٢ - ابن قيم الجوزية	جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام	القاهرة
٣ - البيهقي	دلائل النبوة، ج١	بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
٤ - الترمذي	الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية	بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م
٥ - الأمير مصطفى الشهابي	معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية	بيروت ١٩٧٨م
٦ - المحب الطبري	الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج١	القاهرة
٧ - المختار الكونتي	٧ - المختار الكونتي لب الألباب في الصلاة على النبي الأواب	القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
٨ - المسعودي	مروج الذهب، ج١، ٢	القاهرة ١٣٤٦هـ
٩ - المقريزي	إمتاع الأسماع، ج١	القاهرة ١٩٤١م
١٠ - اليعقوبي	تاريخ اليعقوبي، ج١	ليدن ١٨٨٣م
١١ - ابن طباطبا	الفخري	القاهرة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م
١٢ - جمال بن نصير الجنابي	شرح قصيدة البردة للبوصيري	لاهور ١٤١٦هـ-١٩٩٥/م
١٣ - حازم محمد محفوظ	أحمد رضا خان والعالم العربي	لاهور ١٤١٩هـ-١٩٩٨/م
١٤ - حازم محمد محفوظ	بساتين الغفران	لاهور ١٤١٨هـ-١٩٩٧/م
١٥ - حسين مجيب المصري (دكتور)	الأندلس بين شوقي وإقبال	القاهرة، ١٩٩٩م

١٦ - حسين مجيب المصرى (دكتور) المولد الشريف القاهرة ١٩٨١م

١٧ - حسين مجيب المصري (دكتور) تاريخ الأدب التركى القاهرة ١٩٥١م

١٨ - زكى مبارك (دكتور) المدائح النبوية فى الأدب العربى القاهرة ١٩٣٥م

١٩ - سيد الجميلى (دكتور) العشرة المبشرون بالجنة بيروت، ١٩٨٨م

٢٠ - شجاعت على القادرى من هو أحمد رضا البريلوى الهندى لاهور

٢١ - عائشة عبد الرحمن (دكتوره) تراجم سيدات بيت النبوة القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

٢٢ - عبد الحسيب حميد (دكتور) أدب الشيعة القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٢٣ - عبد الحى اللكهنوى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر حيدر أباد، ١٩٧٦م

٢٤ - محمد إقبال (دكتور) فى السماء، ترجمة د. حسين مجيب المصري القاهرة

٢٥ - محمد إقبال (دكتور) هدية الحجاز، ترجمة د. حسين مجيب المصرى القاهرة ١٩٧٥م

٢٦ - محمد حسين هيكل حياة محمد القاهرة، ١٣٥٤هـ

٢٧ - محمد رضا أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين بيروت ١٩٨٣هـ

٢٨ - محمد رضا عثمان بن عفان بيروت ١٩٨٢م

٢٩ - محمد على الصابونى شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول مكة المكرمة

٣٠ - محمد محمود الصواف زوجات النبى الطاهرات القاهرة ١٩٧٩م

٣١ - مراد وهبه ويوسف كرم ويوسف شلاله المعجم الفلسفى القاهرة ١٩٧١م

٣٢ - محيى الدين بن شرف النووى رياض الصالحين القاهرة ١٩٨٣م

٣٣ - عبد المنعم الحفنى معجم مصطلحات الصوفية بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

فى الأردية

٣٤ - بدر الدين أحمد سوانح إمام أحمد رضا سگهر ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٣٥ - رياض مجيد (دكتور) اردو مين نعت گوئى لاهور ١٩٩٠م

٣٦ - نور محمد القادرى اعلى حضرت كى شاعرى بر ايك نظر لاهور ١٤٠١هـ

٣٧ - محمد أحمد رضاخان العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية ج١ لاهور

٣٨ - محمد أحمد رضاخان حدائق بخشش لاهور ١٩٩٨م

٣٩ - محمد ظفر الدين بهاري حياة أعلى حضرت ج ١ كراتشى

٤٠ - محمد مسعود أحمد (دكتور) حياة مولانا أحمد رضاخان البريلوى سيالكوت ١٩٨١م

٤١ - محمد عبد الحكيم شرف قادرى ياد اعلى حضرت بريلوى لاهور ١٩٩٤م

٤٢ - مريد أحمد الجشتى جهان رضا لاهور ١٤٠١هـ

٤٣ - مجلة: إمام أحمد رضاخان كانفرنس ٩٨ كراتشى ١٩٩٨م

٤٤ - فيضى أحمد أويسى شرح حدائق بخشش كراتشى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

٤٥ - محمد خان قادرى شرح سلام رضا لاهور، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

في الفارسية

٤٦ ـ محمد أحمد رضاخان | ارمــغــان رضــا | لاهــــــور ١٩٩٤م
٤٧ ـ سـجـادى (دكـتـور) | فرهنك لغات واصطلاحات وتعـبـيـرات عـرفـانى | تـهـــــران، ١٣٥٤

في التركيـة

٤٨ ـ اوليـا چلبى | سـيــاحـتـنـامــه | اسـتـانبـول ١٣١٤هـ
٤٩ ـ Ahmed' Ates | Mevlid | Istanbul

في الإنجليـزية

٥٠ـ Bailey: A history of Urdu Literature,(Lahor).

ولد فى القاهرة فى ١٦ فبراير عام ١٩١٦م
أستاذ كرسى الدراسات الفارسية والتركية والأدب الإسلامى المقارن فى قسم لغات الشعوب الإسلامية بجامعة عين شمس بالقاهرة.
انتدب لتدريس الأدب التركى لجامعة بغداد. وانتدب لتدريس التصوف الإسلامى والأدب الشعبى والأدب الإسلامى المقارن فى قسم اللغة التركية بجامعة الأزهر الشريف ومعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة
كما درس اللغة الفارسية فى كلية البنات بجامعة عين شمس وكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر، ودرّس اللغة الفارسية كذلك فى معهد الآثار وقسم الآثار بجامعة القاهرة وقسم الدراسات العليا بجامعة القاهرة، ودرّس الأدب الشعبى فى كلية الفنون بجامعة حلوان.
تخرج عليه من اشتغلوا بالتدريس فى ستة وعشرين جامعة من بين أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا وتركيا وإيران ومعظم الجامعات فى مصر. درس إحدى عشرة لغة يجيد منها ثمانى لغات هى: العربية والفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية. كما أن له إلماما بالأردية والأرمنية واللاتينية والفهلوية.
قضى سبعة وعشرين عاما عضوا خبيرا في المجمع اللغوى.
له ستة دواوين شعرية باللغة العربية يتأثر فيها بالشعر الفارسى والتركى كما أن له ديوانا فارسى طبع في مدينة لاهور وآخر بالتركية طبع فى القاهرة وله شعر بالفرنسية.
له إلى اليوم اثنان وستون كتابا منها خمسة معاجم عربية وفارسية وتركية وأردية.
وأخرج ثمانية كتب لإقبال عن الفارسية منها كتب له نقلها شعرا إلى العربية كما ترجم كتاب الطاف حسين حالى عن الأردية إلى العربية. ونقل مولد سليمان چلبى عن التركية إلى الشعر العربى.
منحه الرئيس ضياء الحق وسام الامتياز عام ١٩٨٨م
منحته تركيا أرفع وسام يمنح للعلماء فى عام ١٩٩٩م
منحته جامعة مرمرة التركية الدكتوراه الفخرية عام ١٩٩٨م
دعى مرتين لتكريمه فى جامعات باكستان، ومرة فى جامعات تركيا.

شكر

شكر الله لفضيلة الدكتور رزق مرسى أبو العباس الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ محمود جيرة الله من محققى التراث الإسلامى .

وفضيلة الدكتور/ محمد مسعود أحمد راعى مركز بحوث الإمام أحمد رضاخان وفضيلة الشيخ/ السيد وجاهت رسول القادرى رئيس مركز بحوث الإمام أحمد رضاخان وفضيلة الشيخ/ عبد القيوم الهزاروى رئيس الجامعة النظامية وفضيلة الشيخ عبد الحكيم شرف القادرى الأستاذ بالجامعة النظامية وفضيلة الدكتور عبد المجيد سكرتير مركز بحوث الإمام أحمد رضاخان والشيخ ممتاز أحمد السديدى الباحث بجامعة الأزهر .

الذين أعارونى كتبا أفدت منها . لهؤلاء جميعا أدعو الله بحسن المثوبة على صدقة العلم

القاهرة فى الشتاء من عام ١٩٩٩م

دكتور حسين مجيب المصرى

المحتوى



الإمـــــام

محمد أحمد رضا خان علم من

الأعلام الذين لا يجود الزمان بأمثالهم إلا

فى الندرة، ذلك أنه شاعر رفيع الطبقة، وكاتب

وخطيب وداعية إسلامى رفيع القدر، إضافة إلى أنه

فقيه إمام له من المؤلفات كثير وكثير.

والمنظومة السلامية أشهر مدحة نبوية فى اللغة الأردية، ولها

عظيم الشهرة عند المسلمين فى شبه القارة الباكستانية

الهندية وكثير من الدول الإسلامية غير العربية التى تجاورها. إنها

تنشد بعد صلاة الجمعة فى تلك البلاد على الدوام ولها عند العلماء

وغير العلماء منزلة لا تسامى، فقد ترجمت إلى كثير من اللغات

الشرقية وكذا إلى الإنجليزية، وتولى شرحها ودراستها علماء وأدباء

من غير العرب. وهذه ترجمة لها إلى الشعر العربى مع شروح مفصلة

وتقدمة مستفيضة فى التعريف بصاحبها الإمام الفقيه الشاعر

مولانا محمد أحمد رضا خان، كما عقدت فيها المقارنة بينها

وبين بردة الإمام البوصيرى. وبين صاحبها والعلامة محمد

إقبال الذى عايش شاعرها.

فهذا الكتاب إثراء وفير للمكتبة العربية الإسلامية،

وتعريف للقارىء العربى بما لم يعرف من

التراث الإسلامى المجيد.